دُروسٌ مِنْ هَدْيِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ

سِلْسِلَةُ دُرُوسِ رَمَضَانَ

(ٱلدَّرْسُ ٱلسَّادِس)

سُورَةُ البَقَرَة

مِنَ الآيَةِ ﴿١٠٤﴾ إِلَى الآيَةِ ﴿١١٤﴾

أَلْقَاهَا ٱلسَّيِّد/ حُسَيْن بَدْرِ الدِّين الحُوثِي

بِتَارِيخ: ٦ رَمَضَانَ ١٤٢٤ هـ

المُوَافِق: ٢٠٠٣/١٠/٣٠ م

ٱلْيَمَن - صَعْدَة

هذه الدروس نُقِلَتْ من تسجيل لها في أشرطة كاسيت،
وقد أُلْقِيَتْ ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

إعداد/ يحيى قاسم أبو عَوَّاضَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

اللهم اهدنا، وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

ما تناولته الآيات السابقة التي سمعناها بالأمس حول بني إسرائيل قدَّمت فعلاً صورة فظيعة جداً في مختلف المجالات عمَّن لا يهتدون بهدي الله، عمَّن يُعرِضون عن هدي الله، وكانت فعلاً صورة مقززة، صورة تشمئز منها النفوس، وكيف أن الأمة عندما تُعرِض عن هدي الله تخسر خسارات كبيرة جداً، وتجلب الخسارات أيضاً على الأمم الأخرى.

من آخر ما تناولت الآيات التي سمعنا بالأمس: اعتراض بني إسرائيل على أن يكون جبريل هو الذي نزل هذا القرآن من عند الله، وذكر بأنهم – بما هو محط سخرية من أطروحتهم هذه – أنهم كانوا وما زالوا يتبعون ما تتلو الشياطين على ملك سليمان في عهده، إذاً فكيف يُقبل منك أن تقول: إنك لا تريد جبريل وأنت تتبع ما تتلوه الشياطين؟!

ذكر أيضاً قضية لا تزال ظاهرة فيهم إلى حد الآن: كيف أنه على أيديهم، وبسبب انحطاطهم الذي فقدوا به الاهتمام بالقضايا الكبيرة، الاهتمام بعمارة الدنيا على أساس هدي الله، هذا الانحطاط الذي تصل إليه النفوس المعرضة عن هدي الله عندما تصبح لا تقدِّر للشيء – مهما كان مهماً – أيَّ قيمة، حضارة مُعيَّنة يبدو أنها كانت حضارة راقية – والله أعلم – كما قلنا من مظاهرها ما كان عليه نبي الله سليمان، وما كان عليه منهم من المقربين لديه من حاشيته، ومن كبار دولته: أنه يبدو أنه كان هناك في ذلك العصر علوم راقية، وتبدو مظاهرها – كما قلنا بالأمس – لا تزال في مصر، وقد يكون من مظاهرها ما هو في اليمن أيضاً.

أشياء عندما تتأمل فيها ترى بأنها بعيدة أن تكون من عمل الإنسان بطاقته الطبيعية، وخبراته الطبيعية، يبدو أنه كان هناك علوم تسخر بها أشياء كثيرة من مخلوقات الله سبحانه وتعالى تُعتبَر أسباباً لإنتاج أشياء لا ينالها الإنسان بطاقاته المحدودة.

من أبرز ما حصل في تلك الحضارة، ومن مظاهر ذلك العلم ما حكاه الله سبحانه وتعالى في قصة (عرش بلقيس) كيف أن الذي عنده علم من الكتاب قال: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾(النمل:٤٠) هذه قضية علمية ليس معناها أنه مسألة دعاء مُعيَّن، فيما يبدو – والله أعلم – ليست القضية قضية دعاء ﴿عِندَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ تسخير أشياء مُعيَّنة كما قلنا بأن مجمل ما يتحرك فيه الإنسان مهما تطورت العلوم لا تخرج عن مجرد استخدام لأسباب طبيعية الله سبحانه وتعالى هو الذي جعلها في هذا الكون، محيط هذه الأرض، في السموات والأرض وما بينهما.

لكن لاحِظ كيف اليهود عندما انحطوا انحطاطاً رهيباً جداً كان الذي يهمهم من تلك العلوم ومن تلك الحضارة الهامة: هو أن يتعلموا ما يفرقون به بين المرء وزوجه! فأضاعوا العلوم الأخرى، أضاعوا علوماً ابتنت عليها حضارة لهم هم في عهد سليمان كلها في الأخير تلاشت، خلاصة ما تبقى لديهم هي (علوم الشعوذة) – كما يقولون – وما زال هذا لديهم إلى الآن.

إذاً وجدناهم بسبب أنهم لم يهتدوا بهدي الله حطموا حضارة قائمة، وأضاعوا علوماً هامة جداً، هذه الحالة لا تزال قائمة فيهم إلى الآن، لا تزال إلى الآن، الفكرة التي لا يزالون عليها هي تلك التي حكاها عنهم كان كل هدفهم من علوم مُعيَّنة: أن يفرقوا بين المرء وزوجه. الآن العلوم الحديثة، هذه الحضارة الحديثة، هذه أيضاً معرضة للنكسة على أيديهم هم فعلاً، الآن بعد الثورة الصناعية، وبعد ازدهار العلم حاولوا أن يتغلغلوا في داخل البلدان التي ازدهرت مثل: بريطانيا، في فرنسا، في أمريكا، أمريكا بالذات قد تكون أمريكا من أبرز البلدان الآن في مجال العلوم بل سمعنا في الفترة القريبة: بأنها ربما قد تكون تجاوزت أوروبا بما يساوي أربعين سنة، بالنسبة لأمريكا.

الحضارة، العلم الذي عليه أمريكا، وبلدان أوروبا، والعالم كله مُعرَّض أيضاً للانهيار على أيديهم هم، لديهم اهتمامات مُعيَّنة هي أيضاً اهتمامات لا يبالون من أجلها أن يتحطم كل شيء فينطلقون بنفس الفكرة: التفريق، تجدهم مثلاً الآن يفرقون بين الإنسان ودينه، بين الإنسان وربه، بين المسلم وكتابه، يفرقون بين الأمم، يجزئونها، يُفرِّقون ما بين الحاكم وشعبه، أليست سياسة بارزة الآن؟ قضية بارزة الآن: موضوع التفريق ما بين الدولة والشعب، بغض النظر أن تكون دولة مستقيمة أو دولة غير مستقيمة، أي: سياستهم مثلاً بالنسبة

لإيران كسياستهم بالنسبة للسعودية تماماً مع الفارق الكبير ما بين النظام في السعودية والنظام في إيران، التفريق ما بين الشعب والحاكم.

يسوقون العالم الآن، يسوقون تلك البلدان التي امتلكت حضارة عالية واحتضنت علوماً مهمة يسوقونها إلى ماذا؟ إلى حالة قد تؤدي فعلاً إلى خسارة علمية رهيبة، إلى خسارة حضارية رهيبة. هم يرون بأنه ليس بإمكانهم أن يحكموا العالم – لديهم مطمع مُعيَّن: أن يسيطروا على العالم – إلاّ بعد أن يُدخلوا العالم في صراعات رهيبة جداً بالطبع تكون في نتيجتها ضرب المصانع، المفاعلات، المعامل، الخبراء، العلماء، المدارس، الجامعات كلها تُضرب، إذاً فهم كانوا وراء تحطيم الحضارات السابقة، وضياع العلوم السابقة والآن هم في الطريق لِمَا عملوه في الماضي نفسه.

كما قلنا بالأمس بأن مجمل ما قدَّمه الله سبحانه وتعالى، وما ذكره عن بني إسرائيل، بما فيها هذه النقطة: أن أيَّ أمة تصل في علومها إلى درجة عالية هي مُعرَّضة للتلاشي بسبب ماذا؟ أنها ليست مهتدية بهدي الله، أن هدى الله سبحانه وتعالى هو من أهم الضمانات لبقاء العلوم الهامة، من أهم الضمانات التي تبنى عليها الحضارات وتدوم وتستمر.

إذاً فما نراه اليوم بالنسبة لليهود ليس جديداً في الواقع، وكثير من المحللين يذكرون بأن أمريكا الآن معرضة للانهيار هي، بخبراتها العالية، بعلومها، بكل ما عندها معرضة للانهيار على يد من؟ على يد اليهود فضلاً عن باقي الأمم؛ ولهذا ترى كيف أصبح الكثير يضجُّون منهم الآن، العالم الآن يضج من اليهود، في مؤتمر القمة الإسلامية سمعنا الوزير الماليزي عندما تحدَّث عن اليهود، وحصل له تأييد من أطراف كثيرة؛ ضجَّ من المناطق التي لليهود نفوذ فيها وهيمنة مباشرة عليها، كثير من الكتابات حتى كتابات هنا في اليمن أذكر في بحث جميل في مجلة من مجلات الجيش يذكر خطورة السياسة الإسرائيلية، وخطط اليهود على أمريكا نفسها، تؤدي إلى تحطيم أمريكا نفسها.

إذاً مثلما قلنا بالأمس[1]؛ لأنه ربما قد يكون من حسنٍ حظنا نحن في هذا الزمن أن رأينا البلدان التي احتضنت العلم: هي معرضة للانهيار وبالشكل الذي ترى فعلاً بأن تلك الأمم كانت بحاجة إلى هدي الله، تهتدي بهدي الله: فيما يتعلق بنظامها السياسي، فيما يتعلق باقتصادها، فيما يتعلق بحركتها بشكل عام، فهذا مثل مهم جداً نستطيع نحن عندما نتحدث مع الآخرين، أو نسمع من الآخرين ممن يحاولون أن يعتبروا هذا الدِّين، أو يعتبروا الدِّين بشكل عام يؤدي إلى تخلف الشعوب والأمم وإلى التأخر، والمفروض أن نترك هذه الأشياء، ونلحق بركاب الآخرين! أنت لاحِظ الآخرين إذا لديك فكرة وفهم، الآخرون معرضون لنكسة رهيبة، وخسارة للبشرية فيما لديهم من علوم، ما السبب في ذلك؟ بالتأكيد هم كانوا بحاجة إلى شيء يشكل ضمانة بالنسبة لهذه الحضارة، وهذه العلوم هو ماذا؟ هو هدي الله.

إذاً فهذا يعطينا ثقة بأن هدي الله سبحانه وتعالى المتمثل في القرآن الكريم، دينه المتمثل في الإسلام بشكل عام هو من أهم ما تحتاج إليه البشرية بشكل عام لتستقيم في كل شؤونها، وليبقى ثابتاً ومتنامياً ومثمراً أيُّ شيء تتوصل إليه من العلوم مثلما توصلت إليه الآن، وربما قد يكون في علم الله وما تدل عليه أيضاً هذه الآية السابقة وما تدل عليه قصة: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾(النمل:٤٠) أننا قد نكون ربما لا نزال متأخرين بالنسبة لعلوم سابقة ضاعت، الآن العلم الحديث لم يستطع إلى الآن أن يُفسِّر كيف تمت عملية نقل (عرش بلقيس) من اليمن إلى فلسطين، لم يستطيعوا أن يفسروا تفسيراً مقبولاً ومنطقياً ومعقولاً، فيما يتعلق ببناء (الأهرام) في مصر لا تزال هاتان القضيتان لغزاً علمياً فعلاً.

معنى هذا أن الله عندما قال: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(الإسراء:٨٥) ذلك العلم بكله الذي وصل إلى هذه الدرجة: استخدام أشياء أخرى يتم بسببها التوصل إلى أشياء لا تزال إلى الآن لغزاً، فالعلم الحديث الآن هو لا يزال فعلاً قليلاً، لا يزال قليلاً بالنسبة لعلوم ضاعت سابقاً، ولا يزال الكل قليلاً مما آتاه الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ هذه كانت مشكلة ولا تزال مشكلة فعلاً ويتم التلبيس بها على كثير من الناس في قضية التحضر والحضارة والعلوم يتصورون بأن معناه أن نترك هذه الأشياء ونلحق بالآخرين!

لاحِظ الآخرين الآن العلوم الراقية كيف أصبحت معرضة للانهيار على يد من؟ من حكى الله هنا في القرآن الكريم بأنه طبع على قلوبهم ممن قالوا عن أنفسهم بأن قلوبهم غلف، إذاً ألم تكن تلك الحضارة ألم تكن تلك

(١) إشارة إلى قوله في الدرس الخامس عندما قال: أحياناً يحصل عند البعض نظرة بأن نترك هذا الدِّين ونتجه لنلحق بركاب الآخرين!

العلوم بحاجة إلى شيء يشكّل ضمانة لبقائها، يشكّل ضمانة لأن تبقى مستمرة تنتج إنتاج خير للناس؟ الآن البشر كلهم يصيحون بأنه احتمال أن تحصل حروب رهيبة، أي: كلهم الآن يصيحون من نتاج العلم، أليس من نتاج العلم وما توصل إليه الآخرون في علومهم أصبح الآن يمثل شراً كبيراً؟ من الذي جعل المسألة بهذا الشكل؟ هم هؤلاء أهل الكتاب اليهود بالذات الذين كانوا على هذا النحو.

إذاً فمعنى هذه لو يفهم الكل بما فيهم الأمريكيون أنفسهم، بما فيهم الأوروبيون بأن اليهود يشكّلون خطورة على البشرية بكلها، الخطورة على البشر جميعاً على اختلاف دياناتهم على اختلاف جنسياتهم وبلدانهم.

بداية الآيات التي سمعناها الليلة هي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(البقرة:١٠٤) هذه الآية من أهم الشواهد على: أن كتاب الله حكيم، وأن هذا القرآن من عند الله، قضية ليس فيها شك، فعندما يتأمل الإنسان يزداد إيمانه، يزداد يقينه بهذه القضية: أن القرآن كتاب أحكمت آياته بالشكل الذي لا يمكن على الإطلاق ولا حتى في وضع آياته في داخل هذه السور أن تكون من رؤى أيِّ مخلوق آخر لا مَلَك ولا نبي ولا أيُّ شخص آخر.

ما علاقة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ بالموضوع السابق؟ ألا يبدو بأنه توجيه جديد؟ الآن نحن مقبلون على آيات سمعناها معظم ما فيها: توجيه للمؤمنين، أليس كذلك؟ توجيه للناس هو اتجه هذا الاتجاه، اتجهت هذه الآيات هذا الاتجاه بعدما أعطى صورة كاملة عمَّن؟ عن أمة لم تهتدِ بهدي الله كيف وصلت إلى أحط مستوى وإلى أسوأ نفسية.

إذاً هذا الموضوع عندما تعرض حياة أو تاريخ أمة على هذا النحو هي تخلق لديك حالة من ماذا؟ من التسليم لله، وحالة من ماذا؟ من التقبّل لِمَا يأتي من عند الله، من أخطر الأشياء على الناس، من أخطر الأشياء على الناس تلك القضايا التي تبدو طبيعية لكنها ذات أهمية كبيرة جداً؛ فأن تأتي هذه الآية، التوجيه لقضية هي تبدو طبيعية قد يكون أيُّ إنسان معرَّضاً لئلا يهتم بها ويراها توجيهاً في موضوع يبدو وكأنه غير مهم جداً فلا يبالي به، لكن له أهميته الكبيرة. فبعد أن يكون الإنسان قد استعرض الصورة السابقة، وحصل لديه قناعة وإيمان بأن الإنسان لا بُد أن يلتزم حرفياً بهدي الله، ويسلّم لله؛ إذاً سيكون عنده استعداد أن يتقبّل ولو تلك الأشياء التي قد تكون محط تساؤل لديه، أو قد لا يشعر بأهميتها وفي الأخير لا يبالي بها.

من بداية السورة ذكّرنا الله بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾(البقرة:٢٦) عندما يضرب لك مثلاً ببعوضة مثلاً ماذا يعني بعوضة؟ ما قيمة أن يضرب مثلاً ببعوضة؟ هو لن يضرب مثلاً ببعوضة أو بذبابة أو بعنكبوت إلاّ لأهمية القضية بالنسبة لك، عندك صورة مسبقة عن النتائج السيئة يجب أن تخاف، وعندما تكون خائفاً معناه لم يبقَ أمامك إلاّ أن تسلِّم لله وأن تهتم بكل ما يأتي من عند الله حتى ولو بدت قضية بسيطة ﴿لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ كلمة بدل كلمة ماذا تعني هذه؟ أليس الواحد قد يقول ماذا تعني هذه؟ ماذا يعني ألاَّ نتكلم بكلمة ﴿رَاعِنَا﴾؟ نحن أهل المدينة وهي كلمة نقولها نحن ونتحدث بها نحن وأسلافنا من قبل ﴿رَاعِنَا﴾ ونحن لا نقولها بنية سيئة إذا كان هناك يهودي أو اثنان أو مجموعة يهود يستخدمونها بمعنى سيئ فنحن نستخدمها استخداماً طبيعياً، أليس هذا شيئاً قد يكون مظنة أن يأتي عند الكثير؟

إذاً فموضع أن يؤتى بالقضايا التي هي دقيقة معرَّضة لئلا يشعر الكثير بأهميتها وهي في نفس الوقت هامة جداً أن تأتي في سياق كهذا.

فالموضوع عندما نقول: ننظر إلى موضوع السورة فليس معناه تسلسل الموضوع نفسه قد يكون الموضوع هو الشخصية هو الإنسان قد يكون موضوع السورة هو أن يكون عندك ماذا؟ يكون عندك دائرة أمامك هي دائرة اليهود، ودائرة المؤمنين، ودائرة البشر، هذا هو الموضوع؛ لهذا قد ترى في مجمل هذه الآيات التي سمعناها أليست مواضيع متفرقة؟ لكن يبدو أنها تشكّل نموذجاً من عدة مجالات وقضايا هامة تُقدَّم هنا على أساس أن عندك من خلال ما قُدِّم لك عن بني إسرائيل ما يجعلك تتقبل، هي قضايا هامة جداً في سياق الموضوع الذي هو أنت، الموضوع الذي هو الإنسان بشكل عام، بما فيهم المؤمنون اليهود؛ لهذا ترى فيها خلطاً أيضاً في الحديث عن اليهود داخلها.

مجمل هذه الآيات تعطينا فكرة عن المنهج الذي يجب أن نسير عليه في تقديم التاريخ، مجمل ما حكى عن بني إسرائيل كان عبارة عن سرد تاريخي، أليس سرداً تاريخياً؟ لم يسرده على نفس الطريقة التي يكتب المؤرخون التاريخ بها، ولم يُقدِّمها على نفس الطريقة التي يُقدِّم المؤرخون التاريخ عليها. بعدما أعطى نبذة

تاريخية عن تلك الأمة بالشكل الذي يعطي عبرة بدأ يوجه بناءً على ماذا؟ أنه قد قُدِّم لك ما هو عبرة بالنسبة لك، وعندما نقول بالنسبة لك يعني بالنسبة للمؤمنين بشكل عام، المسلمين بشكل عام، إذاً فهو محط أن يُقدِّم لك قضايا وإن كانت متعددة هي قضايا هامة جداً.

تجد في باقي الآيات حديثاً عن التسليم لله، التسليم لله أساساً هو الذي ينبع من التفريط فيه الإعراضُ عن هدي الله، إذا لم تكن النفوس مسلِّمة لله سبحانه وتعالى فستكون معرِضة عن هديه، إذا أعرضت عن هديه سترى كيف سيكون مصيرها.

إذاً ما هي الأهمية في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(البقرة:١٠٤)؟ أعطاك صورة عن أمة انظرْ كيف أصبحت هي في نفسياتها، أصبحت نفوساً خبيثة، أصبحت تضيِّع قضايا هامة جداً وأشياء هامة جداً بالنسبة للبشر، ألم يأت بها بعد الحديث عن تعاملهم مع علوم؟ ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ ثم قال: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾(البقرة:١٠٢) في عصر سليمان كان هناك علوم عند وزراء، عند أشخاص آخرين عنده هو، كانوا ينصرفون عنها ويذهبون ليبحثوا عند الشياطين، يتركون ذلك الشخص الذي قال: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾(النمل:٤٠) ويذهب يبحث وراء شيطان يعلمه السحر: كيف يفرِّق به بين المرء وزوجه!

إذاً هذه أمة خطيرة جداً، معنى مجمل الموضوع: أمة خطيرة جداً، أو طائفة من البشر الذين هم اليهود خطيرون جداً، ولا يزالون يعملون بهذه النفسية نفسها التي قدَّمناها لكم في هذه الآيات بالنفسية نفسها وبالروحية نفسها؛ إذاً فيجب أن تكونوا حذرين جداً ودقيقين جداً في التعامل معهم، وتعطوا لكل قضية أهميتها في الصراع معهم.

هذه الآية تتحدث – كما يقولون – بأن اليهود كانوا يستخدمون كلمة ﴿رَاعِنَا﴾ التي هي كلمة عربية، مفردة عربية معناها العربي معروف: أمهلنا أو أنظرنا، يستخدمونها بمعنى سيئ لديهم، سيئ في النفوس بمعنى: شرير أو من الرعونة التي تعني: السفه والحماقة والطيش، أي: كلمة معناها في داخل النفس وليس في إطلاقها، معناها عند اليهودي سب للرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) إذاً هنا قضية يهودية لا تزال في الأعماق داخل اليهودي تُعتبَر ماذا؟ يحارب بها النبي وهي ما زالت في داخله لم تظهر على لسانه، لم تتحرك بشكل موقف ما زالت في الأعماق، يجب أن تكونوا دقيقين في التعامل مع هذه، ليس فقط ما يبرز من اليهود بل ما لا يزال في أعماق أنفسهم نوايا لديهم.

﴿لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ توقفوا عن استخدام هذه الكلمة تماماً، عندما يتوقف العرب عن استخدام تلك الكلمة بشكل عام – اتركوها نهائياً لماذا؟ – ليقفل المجال على اليهودي فلا يكون بإمكانه أن يستخدمها، إذاً ألم يكن هذا موقفاً أمام نوايا وقُدِّم التوجيه به توجيهاً حاسماً بعده ﴿وَاسْمَعُوا﴾؟ واسمعوا ويكفيكم أن تسمعوا وقد سمعتم كيف كان الذين لا يستجيبون لهدي الله ولا يقيِّمون الأشياء التي تُقدَّم إليهم، لا تكونوا كبني إسرائيل تقولون: ما هي الفائدة؟ ما فائدتها؟ ما هي القيمة لها؟ نحن نستخدمها، لا، اسمعوا، التزموا ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(البقرة:١٠٤) للرافضين للكافرين أنفسهم اليهود الذين لا يزالون يستخدمون نوايا سيئة، وللرافضين منكم الذين لا يسمعون ﴿وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ منكم ومنهم.

هذه مع أنها تبدو في الصورة قضية بسيطة لكنها تعطي منهجاً مهماً جداً في الصراع مع اليهود، أي: هي ترسِّخ عند المسلمين حالة على مستوى عالٍ من اليقظة والحذر والانتباه واتخاذ موقف أمام أيِّ شيء من اليهود وإن كان لا يزال نية في أعماق نفوسهم.

من أين أُتِيَ العرب؟ ومن أين أُتِيَ المسلمون حتى أصبح اليهود هم الذين يدوسونهم الآن؟ مِن أين؟ لم يحملوا هذه الروحية التي تعطيها هذه الآية: ﴿لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ لم يعد لديهم اهتمام حتى بما يشاهدونه، بما يلمسونه، بما يحسونه من اليهود لم يعد لديهم اهتمام أن يعملوا ضدهم شيئاً؛ إذاً ألم يفقدوا روحية؟ فقدوا تربية وجهت إليها هذه الآية؟ إذاً ترى بأنها قضية هامة وهذا – مثلما قلنا سابقاً – من الأشياء الصعبة بالنسبة للناس القضايا التي هي في واقعها هامة جداً جداً جداً ولكن أمامهم طبيعية جداً هذا الذي يُعتبَر موقفاً محرجاً جداً؛ لهذا كانت هذه الآية في مقدِّمة الآيات التي جاءت لتوجيه المسلمين بعد تقديم العبرة الشاملة من خلال ما ذكره عن بني إسرائيل.

هذه النفسية التي أضاعت معنى: ﴿لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ هي النفسية نفسها الموجودة الآن عندما نقول: نرفع شعار يا جماعة، الشعار كلمة طبيعية بسيطة تقولها في مسجدك الذي تصلي فيه الجمعة، يردون عليك: (ما هي الفائدة منها؟ ماذا يعني أن نرفع شعاراً؟) مع أنه مسلّم بصحة مفرداتها يقول لك: (صحيح الله أكبر، وحقيقة أمريكا ملعونة والموت لأمريكا) وسيقول لك أيضاً: (أمريكا ملعونة وإسرائيل ملعونة واليهود ملعونون، والنصر للإسلام، لكن ما الفائدة منها؟ ما قيمتها؟ هل ستؤثر على أمريكا هناك؟ هل، وهل، وهل!) تلك النفسية السابقة؛ لأن هذا بداية توجيه إلهي تربوي للمسلمين ليكونوا بمعزل عن روحية بني إسرائيل، روحية البقرة، نفسية البقرة: ما هي؟ ما لونها؟ إن البقر تشابه علينا، الآن جئت بالحق، الآن..! لا، إن الإسلام إن القرآن الكريم قام على أساس أن يُقدِّم للمسلمين تربية على مستوى عالٍ جداً يستبقون بها الأحداث، فلا يكونون عرضة لأن يُضرَبوا ضربات متكررة حتى يصحوا، ومتى ما صحا وجد نفسه في وضعية لا يتمكن أن يعمل شيئاً.

عندما يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ لماذا لم يأتِ الخطاب لليهود: يا أيها اليهود اسكتوا أو اتركوا استخدام هذه الكلمة؟ لأن مفتاح أن يضرك العدو، أن يهزمك العدو، أن يهينك العدو، هو مِن عندك أنت، ذلك عدوٌّ يهودي نصراني كيفما كان إذا كنت مستقيماً تسير على هدي الله على كتاب الله فلن يضرك العدو، وستهزمه مهما كان: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾(الفتح:٢٢).

هذه القضية في القرآن مؤكدة، هنا توجه الخطاب إلى المؤمنين كلهم، الإمام علي بن أبي طالب ملزم هو أن يترك كلمة ﴿رَاعِنَا﴾ وهل يمكن أن الإمام علياً سيستخدم كلمة ﴿رَاعِنَا﴾ بالمعنى اليهودي الذي يستخدمه اليهود؟ لا، لماذا؟ لأنه لا يمكن أن يقفل المجال على اليهود فلا يتمكنون أن ينطقوا بهذه الكلمة، أي: تحبط مؤامرتهم – اعتبرها أحبطت مؤامرتهم – إلاّ بأن تقفلوا أنتم هذا المجال من عندكم، وإن كنتم لا تستخدمونها بالمعنى نفسه الذي يستخدمه اليهود، إقفال المجالات التي فيها ثغرات للأعداء تأتي من عند المؤمنين.

ولهذا حاولنا أن نُقدِّم هذه الآية فيما يتعلق بالجانب الأمني، الجانب الأمني عندما نقول: (نفتشك) أنت الأخ الصديق الموثوق به بنسبة ١٠٠٪ نفتشك، أو نقول تكون متيقظاً تكون منتبهاً، كل الإجراءات التي تمثل إقفال مجال يجب أن تكون أنت أول من يعملها، المسألة هي إقفال مجالات، إقفال منافذ.

عندما نقول: (نترك المصافحة) ونحن إخوة وكل واحد يحب أن يُقبِّل الآخر كم مرات، أليس هذا إقفال مجال؟ إقفال مجالات؛ لأنه سيأتي يهود أو عملاء يهود ونمط المصافحة لدينا بالشكل الخطير وفي الأخير الزيدية هؤلاء يكفيهم عشرة عشرون يصافحونهم وينهونهم مع تمكنهم من استخدام أشياء دقيقة جداً نحن لا نستطيع حتى أن نكتشفها ولا أن نعرف كيف نقاومها، أقفل المجالات على الأقل. عندما يأتي أحد يقول لك: "لكن يا خبير[1] أنا أخ وصديق أعرف فلاناً أو نحن أصحاب يعني هو شاك فيَّ؟" لا، ليس شاكاً فيك، هل كان رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يشك في الإمام علي عندما يقول له: اسكت عن استخدام كلمة ﴿رَاعِنَا﴾؟ لا، أو يشك في الآخرين؟ ربما قد لا يكون هناك ولا مسلم واحد إلاّ إذا هم منافقون من تلك النوعية السيئة سيستخدمها بالمعنى اليهودي، لكن اسكت يا علي، اسكت يا أبا ذر، المقداد، سلمان، عمَّار، كلكم اسكتوا، وفاطمة فلتسكت، والكل فليسكتوا عن استخدام كلمة ﴿رَاعِنَا﴾.

إذاً فهذه القضية هامة: إقفال المجالات يأتي من عند الناس هم، المخلصون الصادقون المؤمنون بالقضية التي هم فيها، لم يكن هناك مجال أن يقول الإمام علي مثلاً: لكن أنا سأستخدمها وليس عندي نية سيئة والله المستعان لماذا توقفني، يعني عندك شك فيّ؟ لم يحصل هذا، هم فاهمون خاصة عندما تعطيهم صورة رهيبة جداً.

هذه الآية تُعتبَر شهادة فيما يتعلق بالمقاطعة الاقتصادية، ألم يحصل هنا مقاطعة لكلمة؟ قاطعَ المسلمون كلمة في أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لأن استخدامها يمثل ماذا؟ دعماً لليهود، إذاً فقاطعْ بضائعهم؛ لأن بضائعهم تشكّل دعماً مادياً كبيراً لهم، وتفتح عليك مجالاً لأن تتقبَّل كل ما يريدون أن يوصلوه إلى بدنك إلى جسمك من سموم، أو من أشياء لتعقيمك حتى لا تنجب، أو تورث عندك أمراضاً مستعصية أشياء كثيرة جداً مع تقدُّمهم العلمي يُعتبَرون خطيرين جداً، سيطرتهم على الشركات التي تُعتبَر متطورة في صناعات أشياء كثيرة من المواد السامة عناصر كثيرة تستخدم قد أصبحوا يستخدمون عناصر تؤثر نفسياً تقتل عندك الاهتمام

(١) يا خَبِير: من اللهجة العامية، وتستخدم للمناداة كمثل: يا صَاحِب أو يا هذا.

تصبح إنساناً بارداً لا تهتم ولا تبالي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(البقرة:١٠٤).

ثم يعود بالحديث إلى أهل الكتاب أنفسهم: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أنتم أمام جهة خطورتها هكذا: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يأتي بالمشركين بعد الذين كفروا من أهل الكتاب فيما يتعلق بقلة خطورتهم فعلاً ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِنْ خَيْرٍ مِن رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(البقرة:١٠٥) لا يودون أبداً، ليس عندهم ود أن ينزل عليكم أيَّ خير من جهة الله، وأعظم خير هو هذا الهدى، فتتناول هذه العبارة أيَّ خير، أيَّ خير من جانبهم هم أو من أيِّ طرف آخر، إذا كانوا لا يودون أن ينزل على الناس أيُّ خير من جهة الله فبالأولى من عندهم هم.

هذه الآية هامة جداً جاءت بشكل قاطع وبشكل مطلق أمام النفسية اليهودية التي هي خطيرة جداً وهذه سُنة إلهية فيما يتعلق بهداه للناس، هداه يُقدَّم بالشكل الذي يُشبع نفسية الإنسان المتفهم الذي يعرف عمق الأشياء وثوابت معروفة للعامة من الناس الذي ليس عنده ذكاء مثلاً ليس عنده فهم بالشكل المطلوب أقل ما يمكن أن يعرف أن أهل الكتاب لا يودُّون أيَّ خير لنا، أليست هذه واحدة من الأشياء التي سيعرفها الواحد من الناس ولو لم يكن يقرأ ولا يكتب؟

وهذه قضية أساسية وثابتة من الثوابت تحصن الناس، لم يجعل الباري سبحانه وتعالى قضية وعي الأشياء وفهم الأشياء التي تُعتبَر من هدى الله سبحانه وتعالى بالشكل الذي يحتاج إلى مفكرين وفلاسفة وباحثين متعمقين ليكتشفوها، يعطي هدى على هذا النحو، ويعطي هدى يشكّل قواعد وأسساً عامة ويعرفها كل الناس، أيُّ إنسان سيفهم من هذه الآية: بأن الذين كفروا من أهل الكتاب – ولا يوجد الآن في زماننا ناس مؤمنون من أهل الكتاب وطيبون من أهل الكتاب، هم أولئك وألْعَن ربما من السابقين – أنهم لا يودّون أن يُنزل علينا أيُّ خير من أيِّ جهة.

هذه تعطي رؤية فيما يتعلق بالأشياء التي تأتي من جانبهم هم، نراهم يُقدِّمون مساعدات، أليس هذا يحصل؟ يعملون مشاريع خدمية، يجب أن ترجع إلى هذه كقاعدة لتعرف كيف تتعامل مع ما يُقدِّمونه، وكيف تتمسك بالشيء الذي هم يريدون – من خلال تقديم هذه الخدمات – أن ينسفوه من نفسيتك، أن تكون هذه قاعدة ثابتة لديك: بأنهم لا يودُّون لنا أيَّ خير على الإطلاق، لكن هناك مشاريع بملايين الدولارات، الإنسان البسيط يجب أن يفهم وسيرى بأم عينيه حقيقة ما يُقدِّمونه إنما هو عبارة عن طُعم لتدجين الناس وصرف أنظارهم عن الحذر واليقظة أمامهم من أجل ماذا؟ من أجل أن يحتلوهم ويجتاحوا بلدانهم وسيستعيد بالأضعاف المضاعفة من ثرواتك أنت من جيبك أنت أكثر مما قدَّم لك.

أمَّا إذا رأيته قدَّم مدارس مثلاً أليس يُلحقها بمنهج مِن عنده؟ إذاً لمن المدارس في الأخير؟ له هو، المدرسة هي لصالح من هو متحكّم في المنهج، ويكون معناه في الأخير أننا نُقدِّم لهم الشكر ونصفق لهم ونعتبرهم "متجمِّلين فينا"[1] وإذا بالمدارس في الواقع لهم وإنما نُقدِّم لهم ونعطيهم ولاءنا ونعطيهم أيضاً أبناءنا يعلمونهم كما يريدون.

إذاً أليست هذه تكون في الأخير قضية وهمية؟ ممكن أن يعطونا مثلاً مستشفيات يعطوا مراكز صحية يعطوا مستوصفات، لكن الله أعلم كم سيعملون من خلالها من أشياء تضر بالناس عملياً، إضافة إلى أنهم من خلالها يصنعون نظرة إيجابية عند الناس بالنسبة لهم، هذه النظرة الإيجابية هي تجعل الناس يُغمضون أعينهم أمام ما يَحيكونه من مؤامرات، وما يسيرون من أجل الوصول إليه: وهو أن يهيمنوا عليهم، أليست هذه القضية أصبحت ملموسة الآن؟ هم لا يعملون شيئاً إلاّ وهم واثقون من حصولهم على ثمنه أضعافاً مضاعفة يستلمونها هم.

إذاً عندما يأتي مشروع مستشفى كم فيه مثلاً؟ عشرات الأسرَّة وخدمات عالية وأطباء مهتمون وممرضون مهتمون، يدخل مريض من قرية فيهتمون به بشكل كبير، سيقول: (هؤلاء ناس طيبون، هؤلاء ناس ملائكة، هؤلاء الأمريكيون ناس طيبون، باهرون) سيرجع القرية وعندما تقول أنت: هؤلاء ناس خطيرون هؤلاء ناس يجب أن نقف في مواجهتهم، سيقول لك: (ماذا؟ مواجهتهم؟! ولا أمك ستعمل لك مثل تلك الممرضة، ولا أبوك سيعمل لك مثل ذلك الطبيب) قد يقول: (رضي الله عنهم) اسكتوا وإلاّ قد يصلي عليهم، أليس كذلك؟

---

(١) مُتَجَمِّلين فينا: مِن اللَّهْجَةِ العَامِّيَّة، وتعني: قَدَّمُوا إلَيْنا مَعْرُوفًا.

الخطورة هنا، المكسب الكبير للأمريكيين عندما يُقدِّمون المساعدات هي في هذه النظرة التي يخلقونها من خلال مساعداتهم، هم لا يُقدِّمون شيئاً بمشاعر إنسانية، بشعور بحق عليهم كدول متقدمة أن يعطوا دولاً فقيرة ويساعدوها من منطلق إنساني، لا يوجد عندهم هذه على الإطلاق، إذاً فلما كانت هذه القضية هي نفسها قضية دقيقة ولا تزال تُعتبَر دقيقة أمامنا وأمام الكثير عندما يكون الكثير منا لا يعرفون كيف تتم عملية خداع العدو مع أن هذه قدَّمها القرآن الكريم في قصة آدم مع الشيطان، كيف الشيطان؟ ألم يُقدِّم له أشياء تُعتبَر خيراً بالنسبة له؟ ويحاول أن يحمله على أن يأكل من الشجرة؛ لأنه يعرف أنه إذا أكل من الشجرة سيخرج من الجنة عارياً، ولا يتركون له حتى سرواله فعلاً، حاول: ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى﴾(طه:١٢٠) ألم يُقدِّم نفسه حريصاً وهو يتردد عليه؟ حريص، حريص أنه يريد لآدم أن يصل إلى الخلد وملك لا يبلى، ويقسم بالله بأنه من الناصحين له هو وزوجته حواء.

أليسوا يقولون هكذا بهذه الطريقة: (نريد أن نرتقي بالشعوب، ونريد، ونريد، ونريد، ونريد)؟ هكذا اعتبرها قضية بديهية في عملية الخداع والتضليل، ففي (سورة البقرة) قرأنا في آيات سابقة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾(البقرة:٨، ٩) ويقول بعد: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾(البقرة:١١) يجب أن تفهم بأن الخداع والتضليل لا يتم إلاّ بأن يُقدَّم على أساس يتقمص ثوباً يشكّل جاذبية عندك: خير لك، نصيحة لك، أليس هو يُقدَّم بهذا الغطاء: أنه خير لك ونصيحة لك وحق واهتمام بك؟ لكن هذه هي مترتبة على إيمان الإنسان بالله وثقته بالله، إذا كان واثقاً بالله ومؤمناً بالله مصدقاً بالله أنه أعلم منه بالآخرين، أليس الله قال في آية أخرى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾(النساء:٤٥)؟ إذاً فليمسك كل إنسان على أن الله قال: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِنْ خَيْرٍ مِن رَبِّكُمْ﴾(البقرة:١٠٥) يعمل مشاريع يعمل ما يريد، لكن موقفي هو موقفي منه: الموقف القرآني، يكون موقفك منه الموقف القرآني، استفد مما يُقدِّم من خدمات، وابقَ في تعاملك معه التعامل القرآني اتركه في الأخير سواءً أراد أن يَعتبِر نفسه مُتجمِّلاً أو يندم، المهم أن يروا في الناس بأن ما قدَّموه - وهو بالتأكيد إن ما قدَّموه عبارة عن طُعم كما يُقدِّم الصياد للسمكة قطعة لحم - يرون بأنه لا ينفع عند هذه الأمة، لن يقول لك في الأخير: إذا لم يُقبل عندكم فنحن نريد وجه الله، الباري سيكتب أجرنا، هم ليسوا حول هذه.

يعرفون أن هذه الأمة لا تُخدَع بما يُقدَّم لها أبداً وإلاّ فسيكون الناس أغبى من السمكة التي في البحر التي تظن أن ذلك الصياد فاعل خير، نزل لها قطعة لحم، أنه جاء من البيت قاصداً وقد ترك شغله وعمله ليُقدِّم للسمكة قطعة لحم والسمكة لا تدري أنه يريد أن يأكلها هي بكلها بواسطة قطعة اللحم تلك، إذاً ألم يستفد الصياد أكثر مما قدَّم؟ كل أعمالهم لا تخرج عن هذا المثل حقيقة، قطعة لحم يستفيد بدلها كيلو أو اثنين (كيلو) أو أكثر على حسب حجم السمكة وغبائها.

وعندما يكونون على هذا النحو والناس لديهم ثقة بالله سبحانه وتعالى ولديهم توكل على الله فلن يستطيعوا أن يحولوا بينهم وبين ما يريد الله أن يحصلوا عليه من خير ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾(البقرة:١٠٥) هذا الهدى هو خيرات الدنيا، هو نعيم الآخرة على الرغم مما لديهم من حقد مما لديهم من ود ألاَّ يكون هناك أيُّ خير للآخرين فلن يستطيعوا أن يحولوا بين الناس وبين الخير الذي يريده الله سبحانه وتعالى لهم، وبين الخير الذي يعطيهم الله من خلال تمسكهم بهديه.

هذه الآية على أساس أن الله سبحانه وتعالى جعل القرآن الكريم هدى بالشكل الذي يجعل الإنسان يجعل المجتمع الأمة التي تسير عليه لا يصبح ضحية لا للتضليل ولا للخداع ولن يقع في إشكالية، لن يوقعه العدو في مشكلة لا يستطيع أبداً، عندما يقول الله: ﴿مَا يَوَدُّ﴾ أليس هذا يعني بأنه عندما يتمكن من لديه هذه الروحية سيعمل على ألاَّ يصيبك أيُّ خير؟ برزت هذه، أي: عندما تستعرض ما يقدِّمونه من مساعدات فاستعرض أشياء أخرى: لا يريدون لهذه الأمة للعرب مثلاً للمسلمين بشكل عام أن يحصلوا على خبرات علمية عالية، عندما أصبح لدى العراق نسبة لا بأس بها علماء وخبراء، أنا أعتقد أن هذه قد تكون أيضاً من الأهداف الرئيسية لديهم في ضرب العراق نفسه، لم يأتوا على أساس أن يزيحوا (صدام) كنظام طاغٍ أو حكم طاغوتي، من أول ما كانوا يسألون عنه: العلماء العراقيين الخبراء، وفتشوا الكليات وفتشوا المعامل وفتشوا حتى المساجد، ويحرصون على أن يحصلوا على قوائم للعلماء.

بالأمس رأيت في إحدى الصحف بأن العلماء العراقيين يتعرضون لخطورة شديدة، يريدون ألاّ تحصل هذه

الأمة على خبرات عالية، لا تصبح دولاً مصنعة مع أنها تمتلك ثروات هائلة، بل تبقى سوقاً استهلاكية، وتبقى الثروات الرهيبة الكبيرة جداً التي تربض عليها هذه الشعوب تكون مصلحتها كلها لهم (للغربيين) وإلاّ فبلدان مثل السعودية كانت مؤهَّلة باعتبار ثرواتها أن تصل إلى مثل اليابان وليس فقط مثل كوريا، دول الخليج كذلك رؤوس الأموال الهائلة، العراق كذلك، كل شعوب هذه المنطقة كان المفترض أن تكون هي أرقى بكثير مما وصلت إليه أمريكا. يحاولون يحاولون ألاّ تنشأ كفاءات علمية، إذا حصل أحد على خبرة مُعيَّنة يحاولون أن يحتووه هم وإلاّ (دبَّروا حالَه) كم حصل من اغتيالات لخبراء وعلماء.

إذاً هم ما يودُّون على الإطلاق أن يحصل لهذه الأمة خير، ولا أن تحصل على خير ولا أن تنهض، ولا يزال المغفلون منا يأتون ليقولوا: (نلحق بركاب الغرب). الغرب هو يركلك، هؤلاء لا يريدون أن تلحق بهم، يحاولون أن يدمروا أيَّ خبرة تصل إليها، ابنِ نفسك هنا أنت واعرف كيف تبني نفسك، متى ما بنوا أنفسهم كأمة تتجرد تماماً عن التبعية تتحرر تماماً من التبعية يصبح قرارهم بأيديهم يستطيعون أن يحصلوا على خبرات لا سيما وأن الخبرات الآن قد أصبحت منتشرة وليست فقط حكراً على بلدان مُعيَّنة، قد يستطيع اليهود أن يحولوا بين الناس وبين الحصول عليها، استطاعت إيران أن تأخذ خبرات من الصين ومن كوريا ومن بلدان أخرى.

إذاً فليست القضية أنك تريد أن تلحق، بل هو يريد أن تفوق الآخرين، ابنِ نفسك هنا، يبني الناس أنفسهم ويعرفون أن أولئك لا يودُّون أيَّ خير لهم. عندما تعمل منحاً دراسية هناك في علوم، هذه العلوم الهامة إذا برز فيها نوابغ من الطلاب فإنهم يحاولون أن يحتووهم هناك عندهم ليشتغلوا عندهم، كم هناك آلاف من الخبراء والعلماء العرب والمسلمون في كندا وفي أمريكا وفي بلدان أخرى؛ لأنه لا يوجد هنا حكومات تحتضن الكفاءات، لا يوجد هنا حكام حريصون جداً على أن يبنوا هذه الأمة!

قالوا كان اليابانيون يرسلون طلاباً منحاً دراسية فإذا رسب الطالب فإنهم يعدمونه، يرسلونه من اليابان ويعطونه اهتماماً كبيراً جداً لا يذهب إلاّ وقد صار معبأ يشعر بالمسؤولية: أن يعود ليبني وطنه (أنت تدرس الآن في بلدٍ هم أعداؤك هم الذين دمروا حضارتنا هم الذين ضربونا بأرقى ما توصلوا إليه يجب أن تبذل جهودك) ويختارون طلاباً نوابغ ويعطونهم إمكانيات كبيرة، ويدرسونهم في أرقى المراكز العلمية، يعودون؛ فاقوا الأمريكيين، ألم يفوقوهم تكنولوجياً؟ فعلاً فاقوهم! وهم الذين كانوا قد دمِّروا في (الحرب العالمية الثانية) لماذا؟ لأن هناك قيادات تهتم بالناس تهتم ببناء شعوبها.

إذاً فهذه الآية تعطينا رؤية تجعل كل إنسان حذراً فعلاً أمام تضليل أهل الكتاب وهم الآن يستخدمون طريقة الخداع للشعوب بأنهم يريدون أن يبنوها، ويريدون أن يساعدوها، ويريدون أن يقدِّموا لها خدمات، وأشياء من هذه، هي كلها خداع وتضليل؛ لهذا رُبطت المسألة بأن يكون لدى الإنسان وعي يجب عليه أن يكون معتقداً له عقيدة؛ لأن الله قدَّم المسألة إخباراً من عنده، أنت كإنسان مسلم يجب عليك أن تعتقد صدق الله فيما أخبر به، يجب عليَّ أن أكون معتقداً: أن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ما يودُّون أن ينزل علينا أيُّ خير، فهذه القاعدة تعطي وعياً، قاعدة دائمة وثابتة وقريبة التناول لكل إنسان، وتشكّل حصانة أمام خداعهم وتضليلهم.

نلاحِظ – من خلال واقعنا الآن، ومن خلال هذه الآية الكريمة – كيف كانت الخسارة الكبيرة ربما كنا نحن هذا الجيل من المسلمين ضحية عدم اهتمام الأولين بهذا القرآن، بأن ينظروا من خلاله إلى الواقع، الإمام علي في زمانه قال كلمة جميلة جداً تعطي اهتماماً كبيراً بالقرآن بأن يكون هو المقياس للإنسان وهو يقيِّم الواقع وينظر إلى الماضي والحاضر والمستقبل من خلاله: (كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به).

البعض منا الآن يقول مثلاً: ليس الوقت مناسباً أن يكون للناس عمل يقوم على أساس مواجهة توجُّه أهل الكتاب ضد هذه الأمة ضد المسلمين ضد دينهم، أوطانهم، ثرواتهم، مقدساتهم، قد يقول بعضهم: "ما هو وقت أو ما قد هو وقت!"[1] كانت هذه الآية تفرض على من كان قبلنا بأربعمائة سنة أو من كان قبلنا بخمسمائة سنة أنهم عندما يرون بدايات مؤشرات النهوض في أوروبا أن يكونوا مهتمين جداً ببناء الإنسان المسلم بألاّ يتجاوزهم الإنسان الغربي ومعظم الناس هناك هم من أهل الكتاب، ألاّ يتجاوزوهم.

لأن هذه الآية تعطيك في الأخير معرفة بأن أولئك فعلاً عندما ينهضون وهم لا يودُّون لي أيَّ خير ماذا سيعملون؟ سيتجهون بكل ما لديهم من شر؛ لأن معنى هذا هم أعداء، الذي لا يود لك أيَّ خير هو عدو لك، العدو ما هو الشيء الذي يريد أن يعمله بك؟ هو الشر هو الضر، أن يحولوا بينك وبين أيِّ خير يمكن أن تناله، فكان

(١) ما قد هو وقت: من اللهجة العامية، وتعني: ليس الوقت مناسباً الآن.

من واجب مَن قبلنا بخمسمائة سنة، أول ما بدأت مؤشرات النهوض الصناعي في أوروبا وكانت أشياء بسيطة من قبل أن تُكتشف أمريكا، أليس المسلمون الآن يعانون من أمريكا؟ ونحن كنا نمتلك دولة نحن (الزيود) قبل أن تُكتشف أمريكا، وهذا الكتاب بين أيدينا من قبل أن تُكتشف أمريكا كقارّة، ويتوافد إليها الأوربيون ويبتنون ويصبحون الآن يشكلون هذه الخطورة الكبيرة.

هذه الآية تعطي نظرة مستقبلية إذا كنتَ تفهم القرآن وأنت تمتلك دولة فتحاوِلْ وبأيِّ طريقة أن تحصل على خبرات حتى لا يتجاوزك أولئك الذين لا يودون لك ولا لكل إنسان في هذه الأمة أيَّ خير، أولئك الذين سيستخدمون قوَّتهم لضربك أنت. عندما انشغل الناس بعلوم أخرى وهو يريد أن يستنبط من القرآن، ما هو الاستنباط؟! لماذا لم تستنبط من قبل لتعرف كيف تتعامل مع واقعك وكيف تعمل ضمانات لمستقبل هذه الأمة فتحاول أن تمتلك ما امتلكه الآخرون وبأيِّ طريقة تحصل عليها.

كم استمروا – فيما يذكر البعض – كم استمر الإسرائيليون يحاولون أن يحصلوا على نموذج من الطائرة الروسية أول ما صنعوها (ميج ٢١) ويقتلون أول طيار عراقي وثاني طيار عراقي وثالث طيار استطاعوا بمبالغ كبيرة وإغراءات كبيرة يشجعونه على أن يهرب بطائرة إلى داخل إسرائيل؛ ليعرفوا مكونات هذه الطائرة، وكيف يصنعون مثلها، أو نماذج تفوقها! ألم يعملوا بكل وسيلة؟

إذاً فلنقل: الذين قطعوا أوقاتهم فعلاً وهو ضائع بين كتب من أجل أن يستنبط، يستنبط ليعرف ماذا يستخرج من القرآن من حكم شرعي في قضية حول: هل الأذن من الرأس أو ليست من الرأس أو أيِّ أشياء من هذه؛ هذا ضياع فعلاً أدى إلى ضياع الأمة حقيقة، أي: لا نقول: إن الإسلام ما جاء إلاّ بعدما نهضت أوروبا وبعدما نهضت أمريكا، نحن (الزيود) سابقون لهم كدولة، و(الاثنا عشريين) سابقون لهم كمرجعية تمتلك أموالاً كبيرة، الأخماس تتجمع عند المراجع مبالغ هائلة جداً والمراجع ماذا يعملون بها؟ يدرس (فقه) ويخرج مدرسين (فقه) و(أصول فقه) و(فلسفة) وأشياء من هذه! وكان باستطاعتهم هم بالكثير من تلك الأموال أن يبحثوا عن الشباب الذين هم نوابغ أذكياء ويعطوهم مِنحاً دراسية، ويقيموا مدارس علمية، وهم يعتبرون أنفسهم مراجع ماذا يعني؟ أي: مراجع دين.

إذا أنت مرجع دين يعني أن تكون فاهماً للقرآن الكريم، لو كنت فاهماً للقرآن الكريم لحاولت أن تستغل كثيراً من تلك الأموال وما زلت في فسحة (ولا تزال في وقت) لتبني مدارس علمية أو ترسل طلاباً من النوابغ وتصرف عليهم أضعاف ما تصرفه على حوزة كاملة ليأتوا بعلوم من هذه، لماذا؟ لأنها علوم تعطي تمكيناً لمن؟ لمن هي بأيديهم، لا تدري إلاّ وهم مقبلون عليك، ما الذي حصل؟ الآن من يحكم النجف؟ أمريكيون، أسبانيون، أوكرانيون، وفيهم (آيات الله، حجة الإسلام) وأشياء من هذه، عناوين من هذه.

ما الذي جعل الأمريكيين والبريطانيين والإسبانيين يصلون إلى أن يضربوا هذه الأمة ويهيمنوا عليها ويستعبدوها ويصلوا إلى داخل النجف وكربلاء إلاّ ماذا؟ عدم فهم لمراجع دين عند (الاثنا عشرية) وعدم فهم عندنا لأئمة حكموا، عدم فهم لهذا القرآن، هذه آية واضحة إذا كان لديك فهم إذا ما زلت سليم الفهم، إذا كنتَ تعرف بأن القرآن هو هدى للناس وتعرف أن من الهدى فيما يتعلق بهذه الأشياء، لا أن يكون كل ما تستنبطه من القرآن حول قضايا العبادات والمعاملات المعروفة، تُبنى أمم أو تُحطم أمم بسبب الاعتماد على القرآن أو الإعراض عنه. عندما لم يهتموا لا سنة ولا شيعة بطوائفهم لا أصحابنا الزيود وهم حكموا على مدى ألف سنة ولا اثنا عشرية وهم مرجعية دينية وأخماس تتجمع إليهم مبالغ كبيرة على مدى ألف سنة أيضاً، تاريخ النجف كمرجعية في النجف قد تكون ربما ألف سنة.

إذاً فنقول لأنفسنا ونقول للآخرين: هو وقت من قبل أربعمائة سنة، الذي يقول لك: "ما هو وقت أن تقولوا: **[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]** " أو تحاولوا أن تعدوا أنفسكم لئلا تكونوا ضحية هؤلاء الأعداء الذين أخبر القرآن عنهم أنهم لا يودون لنا أيَّ خير.

إذاً ألم تكن خسارة كبيرة جداً عندما لم نعمل بالقرآن؟ ألم نصبح نحن الضحية نحن هذا الجيل نفسه؟ أصبحنا الضحية أصبح هذا الجيل من الأمة هو الضحية لتقصير السابقين، لانحراف ثقافة السابقين في معظمها فعلاً سنة وشيعة، تتمثل كلها في ماذا؟ في أنهم ابتعدوا عن القرآن.

إذاً نحن أمام وضعية: ما بقي لا دين ولا أمة، وأمة متخلفة، أمة منحطة، أمة ضعيفة، أمة يتحكم فيها اليهود يحكمهم اليهود، الشيء الغريب الذي لا يزال الآن غريباً في العراق نفسه العلماء العراقيون المراجع الذين

عندهم مبالغ كبيرة جداً الأخماس التي منها أخماس أرباح التجارة، صاحب الدكان يكون لديه صندوق في دكانه إذا باع خصلة بخمسمائة معه فيها ربح مائة ريال خُمُس هذه المائة يطرحها في الصندوق، خمسة آلاف ألف ربح يطرح خُمُس الألف هناك خمس الربح من كل سلعة يبيعها؛ تتجمع أموال كثيرة جداً.

أذكر في كتاب ذكر قبل سنين بأن الأخماس التي من سوق بغداد تكفي للهاشميين جميعاً، أخماس سوق بغداد للشيعة فضلاً عن أسواق أخرى في العراق فضلاً عن أسواق أخرى في الخليج فضلاً عن أسواق أخرى في داخل إيران، إذاً لماذا لم يحصل عند هؤلاء اهتمام بعدما رأوا أن هناك ملاحقة لعلماء عراقيين يحاولون بأيِّ طريقة ولو يصرف على الشخص الواحد مليون دولار أنها سهلة في محاولة أن يهربه من أيدي هؤلاء إلى أيِّ بلد آخر يكون في مأمن فيه؟ لا يوجد شيء من هذا، وما زال يقول: (نعم للحوزة، نعم للحوزة) والحوزة التي أضاعتك، أضاعتك في الماضي وتراها الآن أمام أعداد كبيرة من العلماء العراقيين بعدما تهاوى النظام أصبحوا ضائعين.

يحاولون بأيِّ طريقة أن يحصلوا عليهم ويؤمِّنوا مستقبلهم، ولو صرفوا على الواحد منهم مليون دولار لكان ذلك سهلاً، يهربونهم إلى بلدان أخرى لا يتركونهم عرضة للمخابرات الإسرائيلية: هذا يقومون باحتوائه ويشغلونه عندهم، وهذا يغتالونه، أليست هذه خسارة؟

لا بُد أن نعرف أيضاً بالنسبة لنا: أن واقع الناس تقريباً وصل إلى ما وصل إليه اليهود في خسارتهم التي عرضها الله في القرآن الكريم بسبب أنهم أعرضوا عن قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾(البقرة:٦٣) لم نأخذ ما آتانا الله بقوة فأصبحت النتيجة هي النتيجة السيئة.

نعم كما قلنا سابقاً بالنسبة للموضوع: هذه الآيات عندما تراها تناولت أشياء وتبدو وكأنها آيات متفرقة، لا، الموضوع هنا موضوع ذهني موضوع الإنسان المسلم المجتمع المسلم بشكل عام.

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾(البقرة:١٠٦، ١٠٧) هذه الآية أيضاً تتناول وبشكل تركز عليه موضوع: التسليم لله سبحانه وتعالى، التسليم له قد أصبح عندك درس من الذين لم يسلِّموا له كيف وصلوا؟ هذه الآية، موضوع النسخ هل هناك نسخ في القرآن أو ليس هناك نسخ؟ هل يجوز النسخ أيضاً بالأحاديث أو لا يصح؟ موضوع النسخ هو من القضايا التي فيها أخذ ورد كثير، هناك من الناس من يقول: لا يوجد نسخ نهائياً داخل القرآن لا يوجد آيات منسوخة نهائياً، وهناك من هم مُفرِطون في موضوع النسخ، وقدَّموه كقضية اجتهادية ورؤية اجتهادية فتناولوا الكثير من الآيات الهامة قالوا: (هذه منسوخة، وهذه منسوخة، وهذه منسوخة).

مِن أخطر ما تناولوه في موضوع النسخ: قضية نسخ آيات في الإنفاق في سبيل الله، جعلوها منسوخة بآية الزكاة، والإنفاق في سبيل الله قضية أساسية للعمل لإعلاء كلمة الله، وعمود الجهاد في سبيل الله هو: الإنفاق في سبيل الله، يقول لك: (منسوخة نسختها آية الزكاة)!

النسخ الذي قد نقرؤه أو نسمع به من دعاوى نسخ في القرآن الكريم كلها اجتهادية كلها اجتهادات، الإمام (القاسم بن إبراهيم) عنده رؤية بالنسبة لموضوع النسخ على أساس أن كلمة: (نَسْخ) هي كلمة عربية تعني في اللغة إزالة الشيء تماماً أو نَقْل صورته: نَسَخَ ورقةً، ونَسَخَ كتاباً، أي: نقل صورته إلى أوراق أخرى نَسَخَ عليه، ولا تزال تُستعمل بهذا المعنى عندنا، قال: (إذاً النسخ باعتبار هذه الكلمة عربية – معناها – ليس هناك نسخ في القرآن الكريم) إذاً عندما نقول: آية منسوخة، أي: آية غير موجودة، ليست موجودة، آية منسوخة، أي: آية أزيلت تماماً، معناها هكذا. إذاً أمامك آيات قرآنية لا يمكن أن تقول: هي منسوخة وهي موجودة؛ معنى منسوخة، أي: مُزالة تماماً.

الكلام حول النسخ هو على أساس النظرة الفقهية البحتة، يبحث داخل هذا القرآن العظيم الواسع الذي هو أوسع من شؤون هذه الحياة كلها يسميه (حكماً شرعياً) في موضوع عبادات معاملات دائرة محدودة جداً بالنسبة لباقي ما تناوله القرآن، فقدّر هذه الآية باعتبار أن فيها – بحسب إطلاق لفظها – صيغة تفيد أمراً أو صيغة تفيد نهياً إذاً طلَع له حكم شرعي في الأخير يقول: المقصود من هذه الآية، أو كل ما يتوجه إليه نظره في هذه الآية هو موضوع هذا الحكم الشرعي الذي كان الدليل عليه مفردة في الآية جاءت بصيغة أمر أو بصيغة نهي قال: منسوخة، هذا الحكم منسوخ، لا يقول حتى: الحكم منسوخ، في الأخير يقول: الآية، والآية لا يرى فيها إلاّ موضوع ذلك الحكم، فيظن: ما دامت الآية الأخرى يبدو ذلك الحكم فيها بشكل آخر قال: (الآية

منسوخة، منسوخة، وآية منسوخة، وآية منسوخة) بهذه العبارة! وهي عبارة غلط أن يقال: آية منسوخة، قل: حكم منسوخ عندما تتجاوز، قل: حكم منسوخ أكثر ما يمكن أن تقوله إذا كان بالإمكان أن يكون صحيحاً.

في الأخير ظَهَر تساؤل مُعيَّن: هذه الآية القرآنية بعد نسخ الحكم ماذا بقي لها من معنى أن تبقى؟! قالوا: لا تزال القيمة في وجودها أنها تصبح للتعبُّد فقط، تتلى للتعبد بتلاوتها وإلاّ فقد صارت في الواقع فارغة لم يعد فيها شيء، لم يبقَ فيها ذلك الحكم قد صارت الآية فارغة! نفس الكلام حول النسخ بهذا الشكل يرد عليه قول الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾(هود:١) أحكمت آياته، كلها محكمة لا يوجد فيها آيات قد صارت فارغة، الإمام علي يقول: هذا القرآن بحرٌ لا يُدرَك قعرُه، الله يقول: ﴿قُل لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾(الكهف:١٠٩) يأتي ليقول لك: آيات فارغة! وألّفوا كُتباً مُعيَّنة في (الناسخ والمنسوخ) هذه الآية منسوخة، وهذه منسوخة، وهذه منسوخة؛ ولأنها قضية اجتهادية فعلاً تراهم مختلفين في دعاوى النسخ، هذا يقول: (هذه منسوخة) والثاني قال: (لا، ليست منسوخة) هذا يدّعي أن هذه الآية منسوخة، والآخر قال: لا، ليست منسوخة.

أنت عندما تنظر بالنظرة الأساسية فيما تناولتها هذه السورة، قضية أن الدِّين واحد لا يصح كلمة (ديانات) ولهذا نحن نقول: خطأ كبير استخدام كلمة (ديانات) لا يوجد ما يسمى ديانات، هو دين واحد الدِّين عند الله واحد، داخل مسيرة هذا الدِّين قد يكون هناك في مرحلة مُعيَّنة أشياء مشرَّعة في مرحلة أخرى لا تكون مشرَّعة، هذه تأتي في إطار ماذا؟ التوجيه للناس بأن يسلِّموا: أن الحكم هو لله، الأمر هو لله، الهدى التشريع هو من اختصاص الله سبحانه وتعالى فليسلِّموا.

إذا كان مثلاً في شريعة موسى أشياء شرعت، في أيام عيسى حصل تغيير في نفس الأشياء السابقة، أشياء كانت محرمة لاعتبارات مُعيَّنة أحلت، أشياء كانت حلال لاعتبارات مُعيَّنة حرِّمت أو أتى مثل هذا في شريعة محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) بالنسبة لِمَا كان في شريعة موسى وما كان في شريعة عيسى، فافهم بأن الله عندما يحصل شيء من هذا النحو لا يكون تغييراً إلى ماذا؟ إلى الأدنى، فإذا نسخ شيئاً من شريعة سابقة فسيأتي بما هو مثله أو أحسن منه بالنسبة لأصحاب الشريعة الحاضرة.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(البقرة:١٠٦) لاحِظ لها علاقة بهذا الموضوع موضوع التسليم؛ لأن اليهود عندهم فكرة بأنه: أبداً دينهم دينهم ولا يصح أن يكون هناك أيُّ تغيير، فإذا كان هناك في الإسلام تشريع جديد يقولون: أبداً نحن لا يجوز هذا، ويطلّعون شبهاً أخرى، نحن نقول: بلى يجوز في شريعة الله أن تنظروا إلى الدِّين بأنه واحد هو دين واحد: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾(آل عمران:١٩) مسيرة واحدة، أمة من الأمم قد يكون يشرِّع لها شيئاً مُعيَّناً، في موضوع التشريع، التشريع جانب من الدِّين، التشريع جانب من الهدى فقط، قد يكون تشريع لأمة مُعيَّنة على هذا النحو، أمة أخرى؛ ولهذا حكى الله عن عيسى وهو يقول لبني إسرائيل: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾(آل عمران:٥٠) وهنا بالنسبة للنبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يقول: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾(الأعراف:١٥٧).

لأن بني إسرائيل بسبب عنادهم شرعت أشياء ألزِموا بها هي نوع من ماذا؟ من العقوبة، حرَّم عليهم كثيراً من الطيبات يُعتبَر حراماً فعلاً بسبب ماذا؟ بسبب عصيان، بسبب مخالفات، بسبب عناد حرَّم عليهم؛ ولهذا جاء في الدعاء الذي هو عبارة عن دعاء حكاه الله عن المؤمنين بشكل عام: ﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾(البقرة:٢٨٦) لأنه حصل فعلاً في تاريخ بني إسرائيل أن شرعت أشياء تشريعها مثلاً يُعتبَر من ماذا؟ من العقوبة عليهم؛ فحرِّمت عليهم كثير من الطيبات بسبب عصيانهم.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(البقرة:١٠٦،١٠٧) فهو ملك الناس ويشرع كما يريد، وهو العالم بمصالح عباده، هو على كل شيء قدير، وله ملك السموات والأرض؛ فأنت عليك أن تسلِّم له.

إذاً فيبدو أن الموضوع قد يكون فعلاً ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ بالشكل الذي داخل التشريع الإلهي المسيرة الواحدة الطويلة. هي نظرة غير صحيحة أن نحمل مفهوم النسخ على ما يُقدَّم هناك (في أصول الفقه) ثم تأتي إلى القرآن وتنظر إلى آيات القرآن من خلال تلك المفاهيم التي حصلتَ عليها من خلال قواعد أصول الفقه؛ لأنه في الأخير يأتي منه أخطاء كبيرة جداً (آيات منسوخة) أن يقول إنها منسوخة يعطل العمل بها عند الناس، ألم يصبح الإنفاق في سبيل الله قضية غائبة عند الناس؟ الإنفاق في مجال إعلاء كلمة الله أصبح غائباً عند الناس بسبب الذي يقول: منسوخة، منسوخة.

جاءت ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ بعد تناول الحديث عن بني إسرائيل رؤية عن واقعهم وفي إطار آيات ما زالت تتحدث فيهم، تلاحِظ هنا: أنه يُقدِّم أشياء تبدو متعددة هي ليست متباينة عندما ترى أن الموضوع هو ماذا؟ ما يُستخلص من عبرة من خلال ما قُدِّم، مما قدَّمه وعرضه عن بني إسرائيل وكيف آلت إليه حالتهم بسبب إعراضهم عن هدي الله وبسبب عدم التسليم لله.

فعندما تكون مسيرة المسلمين في أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هي كانت في واقعها بهذا الشكل يكونون ملزمين أحياناً أن يعملوا عملاً مُعيَّناً وأشياء مُعيَّنة ثم في مرحلة أخرى يقول: يكفي، ثم في مرحلة يأتي شيء آخر، حصلت هذه في مسيرة الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لا يقولوا: لماذا كل فترة ومعك كلام، كل فترة ومعك كلام، كل فترة ومعك كلام، هو مبلِّغ عن الله سبحانه وتعالى، هو مشرِّع عن الله سبحانه وتعالى يأتي بشَرعه يسلِّم الناس له، بل هذه تحصل ليس على أساس النظرة بالنسبة للنص تحصل في مسيرة الناس على أيدي من هم قائمين مقام أنبيائه تحصل هذه فعلاً.

عندما تنظر إلى واقع الناس مثلاً نحن قرأنا قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾(البقرة:١٠٤) هذه الآية ألم يُعمل بها في مرحلة مُعيَّنة، وبهذا التهديد الشديد؟ من بعد لن تجد أحد الفقهاء أو من العلماء يقول: بأنه لا يجوز لأحد أن يستعمل كلمة ﴿رَاعِنَا﴾ في هذا العصر، هل أحد يقول هذه؟ ما الذي نسخها بمفهوم النسخ الذي قدَّمه أصول الفقه؟ هل يوجد شيء نسخها؟ لا يوجد.

هناك نسبة كبيرة من التشريعات تكون على هذا النحو، وغالباً ما تكون في المجالات العملية في مسيرة الأمة العملية أو لاعتبارات ووضعيات مُعيَّنة، ليست هي مهمة أيِّ شخص، بل هي مهمة أنبياء الله ومهمة ورثة كتبه، كلمة ﴿لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ كم استفدنا كثيراً جداً من هذه الآية في هذا العصر: من الناحية الأمنية، من ناحية الدفع في مجال مواجهة بني إسرائيل، فيما يتعلق بالمقاطعة الاقتصادية، ألم تعطنا هدى كثيراً؟ مع أنها آية – عملياً – باعتبار أنها نهي عن: ﴿لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ عندما تقرؤها من أولها إلى آخرها البارز فيها: ﴿لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾(البقرة:١٠٤) أليس كذلك؟ لا يزال داخلها هدى كثير جداً جداً في قضايا هامة جداً، إذاً هذه الآية ما زالت تعطي هدى، إذا كان في مرحلة مُعيَّنة ﴿لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ انتهى الموضوع ومقتضاه أن يتركوا ﴿رَاعِنَا﴾ الآية باقية، أليس النسخ حصل هناك في الواقع، في الميدان؟ انتهت الاعتبارات والمقتضيات والوضعية التي عليهم ألاَّ يستخدموا ﴿رَاعِنَا﴾ فيها، عندما انتهت طبيعي استخدام كلمة ﴿رَاعِنَا﴾.

﴿رَاعِنَا﴾ ما زالت تعطي هدى لو تصل بمضمونها، تأخذ من كلمة ﴿رَاعِنَا﴾ منهجية كاملة مثلما حاولنا أن نأخذ منها، ألم نتحدث عنها في ماذا؟ تصبح من أهم الأشياء على أهمية المقاطعة الاقتصادية، إذاً أليست آية ما زالت تعطي هدى؟ ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾(هود:١) ﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾(الأنعام:١٥٤) ليست آية فارغة لا يوجد ﴿رَاعِنَا﴾ قد صارت فارغة! بل تعطي مفاهيم هامة، وتعطي هدىً واسعاً جداً.

الدِّين وفق الرؤية الفقهية المبنية على ماذا؟ على قواعد (أصول الفقه) ما الذي نتج في الأخير؟ رصَّات كبيرة جداً من كتب الفقه وتراها غير مواكبة للحياة في الأخير فعلاً، يقولون: هذا الزمن قد صار بحاجة إلى فقه جديد! وتلك الرصَّات الكثيرة؟ الفارق بينها وبين القرآن الكريم من خلال النظرة التشريعية، الفقهاء كل واحد واستخرج من القرآن الحاصل لم يعد لديه شيء، وتجد معهم ما زال يوجد عدة فرضيات أقوال كثيرة وفرضيات فيها ولا تزال قاصرة عن مواكبة الحياة بل في العصور نفسها التي كان فيها فقهاء كثيرون وكتَّاب للفقه كثيرون (مفرِّعون، مخرِّجون) كان في مجال إقامة الدِّين هذا العمل الذي هو ميدان، ميدان الدِّين، موضوع إقامة الدِّين، وإقامة الدِّين ميدانه الأمة والحياة لا تدري واصطدم أحد من أهل البيت عندما يتحرك بكثير من المسائل الفقهية، لا تقول إنه بالشكل الذي قد صار أشياء جاهزة أمامك ما عليك إلاّ أن تعمل، بل تجد مَطبَّات.

تجد القرآن الكريم يبدو – هم عندما يحاولون أن يستخلصوا الآيات التي تتناول أحكاماً شرعية يستخرجون خمسمائة آية من أكثر من ستة آلاف آية – القرآن الكريم نفسه مواكب تماماً لكل الأزمنة يستوعب الحياة بأكملها لكن لو تأتي لتنظر إليه وفق الرؤية الفقهية النابعة من اعتماد قواعد أصول الفقه ماذا سترى؟ لن ترى فيه سوى خمسمائة آية فقط! تأتي قضايا كبيرة تريد أن تعرف كيف تعمل فيها لا يوجد؛ الخمسمائة آية هي تناولت مواضيع مُعيَّنة تُعتبَر محدودة جداً مع أن الله يقول في موضوع الدِّين: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾(التوبة:١٢٢) فقه الدِّين ليس فقه الخمسمائة آية فقط، هذا فقه الهدى الواسع فقه الدِّين الواسع.

الصياغة الفقهية - إذا صحت العبارة - في القرآن الكريم تختلف كثيراً عن الصياغة الفقهية في كتب الفقه، بل إن الكثير من المشاكل التي طرأت الآن مثلاً في قضايا (المرأة) وأصبح اليهود يستغلونها، كثيرٌ منها نتيجة عبارات فقهاء ومحدثين ومفسرين يأتون بعبارات غير لائقة استخدمها الأعداء.

تأتي إلى القرآن الكريم ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ يستوعب - لكن وفق هذه الرؤية - كمثال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(البقرة:١٠٤) فمثلاً ستستخرج منها توجيهات هامة فيما يتعلق بالجوانب الأمنية بالنسبة للمسلمين، فيما يتعلق بالاهتمام في مواجهة هؤلاء الأعداء الخطيرين، فيما يتعلق بالمقاطعة الاقتصادية، ولم ينتهِ ما فيها بعد، الله أعلم كم بالإمكان أن تعطي لنا ولغيرنا، وكم كان بالإمكان أن تعطي لمن قبلنا. التدوين الفقهي لم يعد بالإمكان أن تقولب النص؛ لأنه يوجد فارق كبير جداً في التعبير.

تجد أنك لو تحاول أن تنقل المسائل الفقهية من داخل القرآن ستجدها قليلة: صلاة، صيام، زكاة، حج، نكاح، طلاق، ربا، بيع وشراء، تجارة، أيمان، قصاص، ستخرج بـ(ملزمة) بحسب العناوين الفقهية، لكنه كتاب يستوعب الحياة كلها، ويغطي كل القضايا في أيِّ عصر كان وباتجاه واحد، باتجاه واحد، أي: في إطار مسيرة واحدة، ليس المعنى أنه يتأقلم هو، يتأقلم مع الأشخاص يتأقلم مع الناس يتأقلم مع القضايا، أبداً، أي: عندما نأخذ من هذه الآية أهمية المقاطعة الاقتصادية، هل هي تتنافى مع: ﴿لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ أصبحت اتجاهاً مغايراً؟ لا، هي منسجمة من حيث مضمونها وهو يقول لناس: ﴿لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ وعندما تقول: إذاً هذه تؤكد أهمية المقاطعة الاقتصادية تراها في سياق واحد تخدم الموقف الواحد بدون تناقض بدون اختلاف، هكذا القرآن الكريم سعته هي على هذا النحو ليس معناها سعة ماذا؟ قولبة، تأقلم أبداً، هذا كمثال ليس سعة قولبة وتأقلم أبداً.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ﴾(البقرة:١٠٨) لاحِظ أليست الآيات كلها توجِّه في معظمها توجيهاً للمسلمين جاء على أساس أن لديهم عبرة مما عرضه من تاريخ بني إسرائيل، القضية هي ماذا؟ يجب أن تفهموا من مجملها، أي: كأن الآية تقول: أن تفهموا من مجملها على الأقل تأخذوا منها هذه العبرة، أن تكون العبرة منها: التسليم المطلق لله، إذاً لم يعد هناك تساؤلات أخذ ورد وسؤال: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ﴾ عندما يقول لكم أن تعملوا كذا فاعملوا، يقول لكم إلى هنا ويكفي يكفي، انطلقوا في موضوع آخر انطلقوا، وهكذا.

﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾(البقرة:١٠٨) أي: أن هذه الروحية تؤدي في الأخير إلى كفر، هذه الروحية لوحة من روحية بني إسرائيل في موقفهم من رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ستنتهي المسألة إلى ماذا؟ إلى رفض أنه ما هي الفائدة من هذا؟ في الأخير لا تُعقل الفائدة يقول: إذاً لا يوجد حاجة لهذا، ما هي الفائدة من ﴿رَاعِنَا﴾ أننا نتركها وهي كلمةٌ آباؤنا وأجدادنا يستخدمونها ونحن لا نستخدمها بسوء نية إذاً لن نتركها أبداً، هذه الروحية تؤدي إلى ماذا؟ إلى كفر: رفض لهدى الله ولتوجيهات رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(البقرة:١٠٩) الآية هذه نفسها قد ترى فيها علاقة بين ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾(البقرة:١٠٦) وبين التوجيه بالالتزام وترك التساؤلات مثلما كان يحصل من بني إسرائيل مع موسى. في مستقبل مُعيَّن قد يأتي تصرُّف آخر مع بني إسرائيل، قد لا تفهم النسخ داخل النصوص، الواقع لا يوجد نسخ داخل النصوص، هناك في مواردها، باعتبارات المواضيع، هناك في الساحة، مرحلة مُعيَّنة سيعفون ويصفحون حتى يأتي الله بأمره ولله أمر سيفتح عليهم ثغرة إذا لم يستجيبوا، سيتآمرون فيُضربون. وعندما يضربونهم لا يأتي منكم تساؤلات: لماذا أمَّا الآن تقول: نقاتلهم وقبل هذا كنت تقول: فاعفوا عنهم واصفحوا؟! هذا لا يوجد فيه نسخ هو عمل بالنصوص، بهذه النصوص التي تواكب كل الاعتبارات والوضعيات والمتعددة الاعتبارات.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ وهناك قال قبل: ما يودون لكم أيَّ خير، أليست هذه واحدة؟ وهنا يودون أن يردونا كفاراً، أن تأتي في هذه الآية بعد التأكيد، التأكيد في ماذا؟ في إلغاء روحية التساؤل، يعني ماذا؟ يعني أن هذه النفسية: نفسية التساؤل التردد قد تكون ثغرة من ثغرات بني إسرائيل فعلاً، قد يكون من أمثلتها الحاصلة عندما نقول: نقاطع بضائع الأمريكيين، يقولون: (كيف نقاطع والله يقول: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾(المائدة:٥)؟) أليست هذه من التساؤلات؟ وسيقتنع ويستمر يشتري من

طعامهم، ويستمر يورِّد كل ما لديه إلى جيوبهم، وكلما تُقدِّم قضية يكون مليئاً بالتساؤلات، لا تدري في الأخير وإذا هو وأولاده - باعتبار موقفه - يتحولون إلى كفار فعلاً.

هذه الروحية معناها أنها خطيرة جداً على الناس في زمن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أو في أيِّ زمن هم فيه في حالة صراع مع أعداء الله وخاصة أعداء من هذا النوع من أهل الكتاب، تأتي هذه الحالة من الحالات التي تُعتبَر مَنفذاً للشبه؛ لأن الكثير من الشبه تكون مصبوغة بتساؤلات، تساؤلات، إذا كان لديك روحية التساؤلات فأنت تجعله يُقدِّم لك شبهة؛ ليجعلك في الأخير تتساءل وكأن الفكرة أو القضية الثابتة لديك أنه يجب أن تكون مستوعباً لكل شيء وعارفاً لعمق كل قضية ولأبعاد كل قضية.

المسألة الهامة هي تُبنى على التسليم لهدى الله، هذه القضية أساسية، إذا لم يكن هناك تسليم سيحصل ماذا؟ تساؤل، إذا كان هناك تساؤلات تكون القضية في الأخير ماذا؟ هو قدَّم لنا مثلاً من أول الآيات تساؤلات بني إسرائيل: (ما هي؟ ما لونها؟) وأشياء من هذه، أليست تساؤلات؟ هذه الروحية كانت عندهم من العوامل الهامة: أن وصلوا إلى ما وصلوا إليه من ضلال؛ وفي الأخير لعنهم وسماهم كافرين.

عندما يقول لا يوجد تساؤلات فهل معناه أن هذا الدِّين نفسه يريد أن يترك الإنسان لا يكون فاهماً لشيء؟! هدى الله هو بالشكل الذي يعطيك المعارف الكاملة، المعارف الوافية بالشكل الذي تشبع، تشبع فعلاً، هدى الله يُقدَّم بالطريقة التي يكون المطلوب منك هو: أن تتفهم، تفتح ذهنيتك، تفتح مسامعك، وتتفهم، ويُقدَّم إليك بشكل واسع جداً بحيث لا يبقى قضية تساؤل. أنت لو تأتي إلى تساؤلات قيلت فعلاً سواءً في أيام بني إسرائيل أو في أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) تجدها كانت من الأشياء البديهية، ليس معناها أنها ستُترَك غوامض لم ينتبه لها الله ولا رسوله ولا كتابه تأتي أنت لتقول: (كيف الحل في هذه؟ أو كيف كذا؟ يبدو أنهم نسوا) أبداً.

بنو إسرائيل بعدما قال الله لهم على لسان نبيه موسى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾(البقرة:٦٧) أليس الله يعلم بأعمارها ما بين فتيَّة وما بين متوسطة وما بين مُسنة؟ أليس الله يعلم بهذا؟ فعندما يقولون: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾(البقرة:٧٠) أي: أنهم يقدِّمون تساؤلاً عن قضية ليست غائبة عن الله سبحانه وتعالى ولا حتى عن نبيه موسى، هو يعلم أن البقر إمَّا أنها متعددة الألوان أو متقاربة متشابهة، هذه قضايا معلومة، فعندما يقول لك: بقرة هو قالها بعد وهو يعلم بأنها متعددة، وأنها متشابهة وأنها، وأنها...إلخ، هو هذا أنهى القضية بالنسبة لهم إلى أنه يعلم ببقرة قد تكون هي الوحيدة: ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾(البقرة:٦٩) لا يَسْنون عليها ولا يحرثون عليها وسنها متوسط قد تكون بقرة واحدة في الأخير! أليست هذه عبرة لهم بأنه يعلم كل شيء؟ فعندما يقول: بقرة، ليس معناه أنه نسي أن البقر تتشابه وأن البقر فيها فتيَّة وفيها مُسِنة وفيها شيء يحرثون عليها ويَسْنون وبعضها لا يحرثون عليها ولا يَسْنون.

تظهر التساؤلات في الغالب تساؤلات في الأشياء التي لا تُعتبَر غرائب أن الله ناسٍ لها في هداه وأنه لم يشملها، ليس معنى المسألة هنا بأن هدى الله سيجعل الناس بالشكل الذي لا أحد يفهم شيئاً، يقولون: اسكت، لا تتساءل، لا تُقدِّم سؤالاً، لا تستفسر، أي: ابقَ مُقفِلاً فمك، أي: تبقى (ثور)[1] ليست القضية بهذا الشكل، من البداية الله يقول لرسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): إن المهمة الرئيسية لديه: ﴿يُعَلِّمُهُمُ﴾ وماذا يعلمهم؟ ﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾(البقرة:١٢٩)، ﴿وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾(المائدة:١٦) أليس معنى هذا يعطيهم معارف واسعة عندما يعلمهم؟ يعلمهم ماذا؟ هدى الله الذي قال عنه الإمام علي: (بَحرٌ لا يُدرَك قعرُه) أليس معنى هذا أنه سيعلمك معارف واسعة جداً؟ فلماذا ما زلت مشغولاً بأن تُقدِّم تساؤلات هي بديهيات؟

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ﴾(البقرة:١٠٨) لاحِظ أسئلتهم، حصل أيضاً أمثلة من داخل هذه الأمة تساؤلات مع النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾ وكأن هذه القضية من القضايا المعقدة والغوامض ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾ اعْتَبَرَ هذا التساؤل لا قيمة له: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾(البقرة:١٨٩) بل عرض في مواضع أخرى بالنسبة لبني إسرائيل روحية التساؤل الذي يدل على أنهم أناس وصلوا إلى حالة من الفراغ ليس لديهم أيُّ عمل إلاّ تساؤل وانشغال بقضايا تُعتبَر هامشية، جاء بها في (سورة الكهف) بتعبير فيه نوع من السخرية: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا

(١) تبقى (ثور): وتعني: أن تبقى جاهلًا بليداً.

﴿بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾(الكهف:٢٢) أخذ ورد وحوارات ونقاش على هل كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم أو خمسة وسادسهم كلبهم! هل هذه قضية هامة؟! ليست هامة.

هكذا الناس أيضاً إذا انصرفوا عن هدي الله تصبح علومهم علوماً كثيرة وكتباً كثيرة لكن قضايا هامشية لا قيمة لها في معظمها، وأوقات طويلة تضيع، وأعمار تضيع، ومواهب تضيع فعلاً. عندما تقرأ في التاريخ عن أشخاص كان لديهم مواهب عالية في الحفظ مثلاً في الذكاء، ما الذي أضاع مواهبه؟ تراه منشغلاً بقضايا هامشية، ينطلقون ليفكروا بأنه: ما هي الطريقة لكي يعرف الشخص دين الله؟! والله قد قدَّم الطريقة كاملة ويقول: اتبعوا، الموضوع جاهز وصراط مستقيم جاهز، كم يأخذ فن (أصول الفقه) من أوقات الناس ومن مواهبهم ومن أعمارهم ومن أموالهم!

معناه: أن دين الله هو لتوعية الناس وتبصير الناس، يعطي الناس نوراً وبصيرة ومعرفة ووعياً وفهماً بشكل لا يصل إليه أيُّ إنسان مهما كان ذكياً هو من خلال نفسه أبداً، فعندما يقول: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾(البقرة:١٢٩) أنت ارجع إلى الكتاب ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾(الأنعام:٣٨) ﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾(الأنعام:١٥٤) ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾(النحل:٨٩) (بَحرٌ لا يُدرَكُ قعرُه) إذاً هل هذا تجهيل؟ عندما يقول: المهمة بالنسبة لك أنت حتى تعرف وتزداد معرفة تتوسع معارفك هي أن تستمع، تستمع، هذه أيضاً من الرحمة الإلهية: أن يُقدِّم للإنسان ما يجعل معارفه واسعة ما يجعله حكيماً في رؤاه في تصرفاته في مواقفه في تقييمه بطريقة سهلة أيضاً، تذكّر فقط، تفهَّم، اصغِ، استمع، فقط، أليست هذه أقرب طريقة؟ لا حاجة بك إلى أن تتساءل تساؤلات، قد تتساءل في قضية هي من البديهيات أن تكون معروفة لديك أو قضية هامشية. أيُّ قضية هامة هدى الله يصل إليها، وطريقته في المعرفة – مثلما نقول أكثر من مرة – طريقة راقية جداً، أنه ربط المعرفة بالعمل؛ إذاً اتجه اتجاهاً عملياً وستستفيد المعارف الكبيرة جداً جداً من خلال هدى الله.

هنا يذكِّر بخطورة أخرى من مخاطر بني إسرائيل بالنسبة للأمة بالنسبة للمسلمين: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ﴾ الود معناه: الرغبة والميل إلى هذا الشيء، رغبة بميل: ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ﴾ قد صرتم مؤمنين وما زال لديهم رغبة شديدة وميل إلى أن يردوكم ﴿كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ﴾ يعرفون قيمة الدِّين وأهمية الدِّين وما يقدِّمه للناس، فحسدوا الناس على هذا، حسداً من عند أنفسهم ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾(البقرة:١٠٩) أي: أنهم في حركتهم لا ينطلقون على أساس أن هناك باطلاً يريدون أن يحاربوه وأن يُقدِّموا حقاً من لديهم، بل هم يفضحون أنفسهم في هذا الموضوع، أليسوا هم يقدِّمون أشياء باطلة في محاربة هذا الشيء باطلة، هي باطلة في كتبهم، هي باطلة في شريعتهم؟

أليسوا يعملون على نشر الفساد الأخلاقي؟ هل هذا عمل أناس يسعون لإزاحة باطل والإتيان بحق؟ أبداً، بل عمل أناس حاسدين وحاقدين ويعتبرون الذي أمامهم هو حق، ليس لديهم أبداً أيُّ وسيلة ليحاربوا إلاّ وهي وسيلة باطلة، يستخدمون وسائل هم يعرفون بأنها باطلة حتى في شريعتهم: المخدرات ونشرها، الفساد في الأرض بنشر الأمراض، الفساد بمختلف الوسائل، الفساد الأخلاقي بإفساد الإنسان، إبعاده عن الله، أن يصلوا به إلى الشرك، أن يصبح مشركاً أو يصبح ملحداً، بل قالوا: هم كانوا وراء (الشيوعية) هم، الفلسفة التي تجعل الإنسان ملحداً منكراً لله منبعها من عندهم هم، هل هذا من شريعتهم؟ هل هذا هو من الحق الذي لديهم في مقاومة الباطل الآخر؟! لا، إذاً فهذا يُبيِّن فعلاً أن ما لديهم من ميل لمواجهة هذا الدِّين هذا القرآن الكريم إنما هو ماذا؟ بدافع الحسد ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ وتبيين الحق قد يكون على أقل تقدير لكبارهم مثقفيهم أحبارهم هم الذين يحركون الناس.

يعطيك هذا مثلاً واضحاً: أن ليس لديهم دوافع حق؛ لأنك تراهم يُحرِّكون باطلاً وهم يعلمون أنه باطل في مواجهة هذا الشيء الذي عندك، هل هذا عمل من يسعى لأن ينشر حقاً، أو عمل من يعمل لمواجهة باطل؟ أبداً، هذا عمل من يعمل لمواجهة حق لا يمتلك إلاّ باطلاً، لا يمتلك إلاّ وسائل باطلة.

هذه الآية أيضاً جاءت بالشكل الذي ماذا؟ فيها إطلاق، أن هذه رغبة مستمرة لديهم وأن الوقت الذي يتحركون فيه بشكل أكبر هو على حسب إمكانياتهم، كلما تمكنوا اتجهوا إلى ماذا؟ لتنفيذ هذا الشيء الذي يرغبون فيه وهو أن يردوكم كفاراً، في هذا العصر ماذا يعملون؟ ألم تصبح قضية واضحة: محاولتهم أن يردوا الناس كفاراً من بعد إيمانهم؟ ألم يتجهوا إلى أن يهيمنوا على التثقيف وفرضوا فرضيات مُعيَّنة في مجال التثقيف إزاحة كثير من آيات القرآن الكريم؟ هذا يشهد لك بأن الرغبة لا تزال قائمة لديهم من يوم أن نزل القرآن إلى الآن وإلى

نهاية آخر يهودي أن هذه رغبة قائمة لديهم: أنهم يودون أن يردونا كفاراً بدافع الحسد من عند أنفسهم.

تعطينا هذه وعياً وبنفس الطريقة الأولى، في الآية الأولى، للإنسان الفاهم والواسع الفهم وللإنسان البسيط التفكير أن يفهم: أن الله يقول: إن هؤلاء (أهل الكتاب) يودون أن يردونا بعد إيماننا كفاراً، أنت واثق بالله ومصدق لله؟ إذاً امسك على هذا، أليس كل واحد يفهم هذه ولو لم يكن يقرأ ولا يكتب؟ يفهم هذه: أن الله يقول لكل واحد منا: إن هؤلاء الأعداء من أهل الكتاب هم يودون أن يردوكم كفاراً من بعد إيمانكم؛ إذاً فكونوا على حذر منهم، تبتعد عن ثقافتهم، تبتعد عن تضليلهم، لا تصدقهم في شيء، لا تصغِ إلى شيء من عندهم، لا تقبل أيَّ تثقيف من لديهم نهائياً.

﴿حَسَدًا مِنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ﴾(البقرة:١٠٩) البواعث هي لديهم هم ليس على أساس أن هناك تعاملاً سيئاً من جانب آخرين يوجد تعامل سيئ من جانب المسلمين، بل وقع في التاريخ ما يُعتبَر شاهداً عليهم هم، هم عاشوا هنا في اليمن كمثال فضلاً عن البلاد الإسلامية بشكل عام، عاشوا فعلاً في البلدان الإسلامية في وضعية كمواطنين مثل بقية الناس يأمنون على أنفسهم وعلى أموالهم، يتحرك كمواطن في أيِّ بلد هو فيه، في ظل الدولة الإسلامية هنا في اليمن على مدى تاريخ طويل قد يكون أكثر من ألف سنة أيضاً عاشوا في وضعية طبيعية، فلماذا نراهم الآن يتوجهون بروح عدائية شديدة بحقد وتغيض ورغبة في ماذا؟ في أن يجعلوا الناس كفاراً وأن يهيمنوا على كل قدراتهم وأن يدوسوهم إلى أن يحطوهم إلى أحط مستوى؟ دوافع ﴿مِنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ﴾ من عندهم هم.

هذه ترد على أيِّ واحد منا عندما يقول: (اترك العمل ضدهم، لا تثيروهم علينا، لا تقولوا كذا، أو كذا، ستثيرونهم علينا) الله يقول لك: ﴿مِنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ﴾ هم أنفسهم يعملون، ولو أنت تعاملهم تعاملاً حسناً هم يعملون ضدك، أثبت الواقع فعلاً هذه: السعوديون كيف تعاملهم مع الأمريكيين؟ أليس تعاملاً جيداً على مدى ستين سنة؟ والآن كيف توجُّههم ضدهم؟ مع تجاوبهم لطلباتهم المتعددة حتى أزاحوا أئمة مساجد وخطباء مساجد يقولون أكثر من ألف شخص أزاحوهم! هل عملوا شيئاً يثيرهم أم أنه من هناك ﴿مِنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ﴾؟ إذاً فلنفهم نحن: بأن المعنى ليس أن عملك هو الذي سيثير الآخرين، أبداً، بل سكوتك هو الذي سيطمئنهم، أمَّا الاستثارة فهي موجودة هناك عندهم (عند أنفسهم) في داخل أنفسهم لو كنتَ صديقاً لهم لو كنتَ عميلاً لهم فعندهم الدوافع الكاملة بأن يردوك كافراً بعد إيمانك، لأن يردوك تابعاً لهم أشبه شيء بالحذاء وليس في الواقع كمثلهم ولك ما لهم وعليك ما عليهم أبداً.

معنى هذا أنها تُعتبَر من أسوأ الأشياء؛ لأنه حين يقول: (نحن نريد أن نهوِّد الناس يكونون يهوداً ولا لهم ما لنا ولا عليهم ما علينا) لاحِظ كيف هم في القرآن كيف قدَّمهم، ألم يُقدِّم لهم صورة بشعة جداً؟ أفظع نفسية وأفظع واقع قدَّمه لهم، أي: أن عملهم يُعتبَر حرباً لك حتى لو كان تحت عنوان أنهم مستعدون أن يكون لك ما لهم وعليك ما عليهم ومع هذا ماذا؟ أبداً هم ليسوا مستعدين أن يكون لك ما لهم وعليك ما عليهم أبداً! بل يكون ما معك لهم، وما معهم عليك ﴿حَسَدًا مِنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ﴾ لو لم يكن هناك أيُّ بواعث أخرى من عندكم نهائياً، ولن يثنيهم عمَّا عند أنفسهم أيُّ تعامل جيد من عندكم.

هذه الآية ترد الآن على الذين يقدِّمون أطروحات أخرى: (كونوا معتدلين ومتسامحين، نتجنب الأشياء التي تثير الآخرين علينا) أليسوا يقولون هكذا؟ وبعضهم يكونون علماء يكون – كما يزعم – عالِماً بكتاب الله وعالِماً بسُنة رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هذه الآية ترد عليه، أي: أنت توجِّه على أساس أن الآخرين طيبون، أنهم ليس لديهم دوافع ضدنا إلاّ إذا حصل من عندنا شيء يثيرهم، قالوا: (يكفي يا جماعة، اعتدال، تسامح، وسطية، اسكتوا) الذين يعتقلون الناس في المسجد (في الجامع الكبير) هم ليسوا فاهمين هذه الآية (يكفي اسكتوا حتى لا تثيرهم علينا!) هم مستثارون – كما قلنا في محاضرة سابقة – هم مستثارون علينا من أصلهم، هم يلفقون، هم ذهبوا ليفجِّروا سفينتهم في ساحل عدن من أجل ماذا؟ مِن أجل أن يلصقوا بنا تهمة مُعيَّنة: أن هناك إرهاباً وإرهابيين! وهذا العمل هو ضد الإرهابيين! وهو عمل مفضوح.

إذاً فهذه الآية هامة جداً جداً في موضوع: أنها تعطي وعياً، تُعرِّف نفسيات أهل الكتاب؛ في الأخير يترتب عليها مواقف كثيرة، ويترتب على الجهل بها أخطاء كبيرة جداً، في فلسطين يعتبرون أن (حركة حماس) هي التي تثير إسرائيل (وحركة الجهاد) هي التي تثير إسرائيل، مع أنهم قد قدَّموا براهين من عندهم هم، عملوا هدنة وتوقفوا عن العمليات الاستشهادية تقريباً أربعة أشهر فلم تتوقف إسرائيل، بل خلالها اتجهت لاغتيال

قاداتهم والشخصيات البارزة فيهم، هل انسحبت إسرائيل خلال الهدنة خلال استعدادهم ألاّ يقوموا بأيِّ عملية وتنسحب؟ لم تنسحب، إذاً ﴿مِنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ﴾ لا فهمت الحكومات العربية، ولا فهمت السلطة الفلسطينية نفسها، في الأخير يرجعون علينا نحن، أنه مِن عندنا نحن. يا أخي لا، الله يقول: ﴿مِنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ﴾ لأن هذه الكلمات: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِنْ خَيْرٍ مِن رَبِّكُمْ﴾(البقرة:١٠٥) الآية الأولى وهذه الآية: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾(البقرة:١٠٩) أن هذا الود تحته من الناحية العملية أساليب كثيرة جداً، أي: ممكن تعتبر الاحتلال واحدة من وسائل أن يردوا الناس كفاراً، إذاً كيف نحاول أن نسيطر على ثقافتهم فنحولهم إلى ﴿كُفَارًا﴾ لا بُد أن نكون مهيمنين عليهم، إذاً أفضل طريقة: أن نكون ضاغطين ومحتلين أن نصيغهم كفاراً كما نريد، ليس معناها ودًا هناك، وميلاً هناك محله، وفي نفس الوقت مجرد أمنيات، هذه الأمنية متى ما اتجهت الفئة التي تحمل هذه الرغبة سترى قائمة طويلة عريضة جداً من الأعمال، أي: انظر كمثال عندما نقول: العمل لإعلاء كلمة الله، أي: أن يكون الناس يودون أن يكون البشر مؤمنين، تعال انظر إلى كم ستكون أمامك قائمة طويلة عريضة جداً من الأعمال، أليست ستكون أعمالاً طويلة عريضة جداً؟ تحت عنوان: أن الناس يودون أن يردوا البشر مؤمنين بعد كفرهم، ضع خطة لتنفيذ هذه، كيف ستكون؟ واسعة جداً، وأعمال واسعة جداً، الجهاد سيظهر واحدة منها فقط، الجهاد المسلح يكون واحدة من هذه.

إذاً هذه الآية نفسها هي التي تجعلنا نحمِّل السابقين المسؤولية، السابقين من المسلمين الذين عاصروا بداية نهضة أوروبا، وبداية نهضة أمريكا، أم أنه ما كان يوجد مسلمون في هذه الساحة؟! ما كان يوجد (زيود) ولا (اثنا عشريين) ولا (شوافع) ولا (مالكيون) ولا أحد، ألم يكونوا هم حاكمين في هذه المنطقة؟! حاكمين زيود، وحاكمين سُنية هناك. هذه الآية كانت تُنبه من كانوا في ذلك العصر عندما يرون مؤشرات النهضة هناك: أن هؤلاء عندما يتمكنون سيتجهون إلينا ليردونا كفاراً بعد إيماننا، إذاً فيجب ألاّ نتركهم هم ليتفوقوا، بل نحاول أن نحصل على علوم أكثر ونبني أنفسنا أكثر لئلا يأتي يوم من الأيام يكونون أقوى منا فيفرضون ما يودون أن يوصلونا إليه، عندما يقول البعض: (عيب، لا تتكلموا في السابقين) نقول: بلى، نحملهم المسؤولية الكبيرة، السابقين من قريب والسابقين من فوق من أيام (السقيفة) إلى الآن، من أيام السقيفة إلى الآن فعلاً.

هنا يتجلى - أيضاً - فساد الآخرين ككل لم يكن بالشكل الذي يكشف لنا هذه الآية، لم يكن بالشكل الذي يجعل أولئك المثقفين بهذه الثقافة التي فيها نسبة كبيرة من الأخطاء يهتمون بالأمة؛ لأن هذا شيء معلوم أن مثل هذه الآية وأنت في زمن مُعيَّن تفرض عليك أن تحسب حساب مستقبل الأمة وأنت ترى الآخرين في بداية نهوضهم لا تتركهم ينهضون؛ لأنهم عندما نهضوا مثلاً ألم يأتِ من عندهم هم تغيير نمط الصراع فيما بين البشر كان بالسيف تحول إلى ماذا؟ إلى قذائف وإلى إطلاق نار، من أين بدأ هذا؟ إذاً ألم يحولوا هم وسيلة الصراع (آلية القتال) على أيديهم؟ معلوم بأنهم عندما يتفوقون عليك في آلية القتال من هناك لا تحسب حساب ألاّ تسمح لهم أن يتفوقوا. كما هي عندهم الآن، هذه الروحية عندهم الآن وللأسف ومن قبل الآن ألاّ يسمحوا لهذه الأمة أن تنهض ألاّ يسمحوا لها أن تمتلك قدرات؛ لأنهم يقولون: قد تضرِب إذا تفوق علينا هؤلاء سيفرضون علينا إسلامهم؛ لأنهم يودون أن يردونا مسلمين بعد (اليهودة) وبعد (النصرنة).

ألم يكن اليهود والنصارى أكثر وعياً من داخل كثير ممن حكموا وثقفوا داخل المسلمين؟ لأن الشيء الطبيعي أن تكون خسارتنا أكبر من خسارة أهل الكتاب؛ لأن القرآن الكريم هو أوسع وأهم من التوراة التي رأينا ما حصل عليهم بسبب أنهم لم يأخذوها بقوة، لم نأخذ القرآن بقوة؛ وإذا بالأمور بشكل آخر، الآن برز أمامنا ليس فقط أنها حصلت من الآن لديهم بل تجد سياستهم أمام هذه الأمة من بداية هذا العصر (عصر النهضة) ألاّ تحصل هذه الأمة على إمكانيات، ألاّ تحصل على قدرات أبداً، ومتى ما تمكنوا متى ما أتيحت لهم الفرصة اتجهوا، أليسوا الآن اتجهوا ليردونا كفاراً بعد إيماننا، ومتى اكتشِفت بلادهم؟ هل هي اكتشِفت قبل أن يكون هناك إسلام ومسلمون؟ بل قبل أربعمائة سنة فقط، أمريكا هذه التي أهلها متجهون بالأسلحة الرهيبة وملؤوا الدنيا قواعد عسكرية وإمكانيات هائلة، أليست اكتشفت قبل أربعمائة سنة؟ إذاً لاحِظ كيف الخسارة الكبيرة جداً.

ولهذا نحن نقول: إن مشكلتنا هي في الأساس ثقافية، المشكلة بالنسبة لنا كمسلمين هي ثقافية، ثقافة مغلوطة رهيبة جداً صرفتنا عن كتاب الله، وجعلتنا غير طبيعيين، ولم نعد نحن - تقريباً - ولا مثل الناس الطبيعيين، لم نعد نحن على فطرتنا أبداً، فتجد هذا الواقع يكشف فعلاً أحط مستوى وصلنا إليه، مع أن لدينا ما كان يجعل هذه الأمة في أعلى مستوى على الأمم كلها فتأتي الآية هناك: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(البقرة:١٤٣) كيف قدَّموا الوسطية الآن؟ أي: أن هذا أيضاً استمرار في التثقيف الخاطئ نفسه، الوسطية الآن: ألاّ تحرك ساكناً أمام هذا العدو، ألاّ تنبه على خطورة هذا العدو، ألاّ يستعد الناس لمواجهة هذا العدو، ألاّ يعود الناس إلى دينهم على ما هو عليه ويتثقفون بثقافته ويتخلقون بأخلاقه ويتجهون اتجاهه وينظرون بنظرته (لا، أنت متشدد، اجعل نفسك وسطياً!). من هو الوَسَطي عندهم؟ الذي يكون قابلاً أن يكسروه من وسط ظهره فعلاً، كونوا أمة قابلة لأن تُكسر من وسط ظهرها فلا تقوم لها قائمة، أي: تحمل روح التسامح والقبول بالآخر (لماذا أنت متشدد هكذا على اليهود وعلى النصارى وتوجِّه الناس أن يكونوا منتبهين لهم؟! ليكن عندك تقبل للآخر!) والآخر: اليهودي والنصراني، والله قد رفضهم.

بل وصلت المسألة إلى حالة رهيبة جداً أن يقدِّموا القرآن بين أيديهم هم، وهذا شيء مزعج جداً، القرآن الذي جعل الله هؤلاء الناس قائمين عليه وقائمين به ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ هي خطاب للعرب في المقدمة وفي مقدمتهم أهل البيت، وفي الأخير وإذا بالعرب أنفسهم يريدون أن يُسلِّموا القرآن لبني إسرائيل ليؤقلموه كما يريدون، يخفون ما يريدون ويظهرون ما يريدون ويمنعون الناس عن قراءة ما يريدون في المساجد والمدارس وغيره، بل في صحيفة من الصحف – أعتقد صحيفة (الشموع) – يقول عن العراق: الحاكم الأمريكي في العراق منع أئمة المساجد عن قراءة الآيات التي تتحدث عن الجهاد في الصلاة!

لاحِظ هذه الأمة، ألم تصل إلى أن تسلِّم كتابها لبني إسرائيل والله يقول هنا كيف عملوا مع كتبه كيف كانوا يُحرِّفون كتبه كيف كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما يسمعونه ويعقلونه، ونأتي لنقدِّم لهم القرآن؟! هنا قد أصبحوا يوجهون أوامر بألاّ تقرؤوا الآيات الفلانية، لا تطرحوا في المنهج الآيات الفلانية، الخطيب لا يتحدث بالآيات الفلانية، ولا إمام المسجد، ولا أحد! أوامر من الحاكم الأمريكي بألاّ يقرؤوا آيات الجهاد في الصلاة نهائياً، وبالتأكيد ولا في المنهج، وتصبح جريمة يعاقب عليها الحاكم الأمريكي عندما يسمعون شخصاً يقرأ آيات الجهاد في أيِّ مكان من الأمكنة، ومنافقون عرب (يرفعون تقارير) بأيِّ شخص يسمعونه يقرأ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾(التوبة:٢٩).

معنى هذا سيحصل في العرب من ممكن فعلاً يصلون إلى هذه، بل وجدنا أشخاصاً هنا كم يحاولون من داخلنا يرفعون إلى محافظ أو إلى مدير أمن أو أيِّ جهة حكومية (هناك ناس يقولون: الله أكبر الموت لأمريكا والموت لإسرائيل، يرفعون شعاراً، هم هؤلاء عاقبهم!) أمة فعلاً قد صارت مكسورة من وسط ظهرها حقيقة، إذا لم تعد إلى القرآن لم تعد إلاّ مثل الحمار عندما يُكسَر ظهره فلم يعد يعمل شيئاً لم يعد قادراً على أن يحملوا عليه ولا يصح أن يهملوه، ولم يعد له أيُّ فائدة.

هذه الآية هي تنبِّه الناس أن يكونوا حذرين جداً من حالة ﴿كُفَارًا﴾ أي: يجب أن تفهموا خطورة معنى قوله تعالى: ﴿كُفَارًا﴾ ارجع إلى القرآن الكريم كيف الكافرون، وكيف قدَّم الصورة عن الكافرين وضلالهم في الدنيا، مصيرهم في الدنيا، مصيرهم في الآخرة، وكيف لعن الكافرين، ليست كلمة ﴿كُفَارًا﴾ كلمة بسيطة، بل اعتبرْها أخطر قضية عليك وعلى أولادك وعلى مجتمعك أن يكونوا عُرضة لأن يردهم اليهود كفاراً بعد إيمانهم، مِن حالة الكافرين: أن الله لعنهم، أليس الله قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾(الأحزاب:٦٤)؟

لهذا نحن نقول: عندما نلعن اليهود، اليهود هم متجهون إلى أن يُحوِّلونا إلى كفار، فإما أن نلعنهم وإلاّ فسيحولوننا هم إلى ملعونين عند الله، إذاً أليس الأفضل أن نلعنهم من قبل؛ ومن خلال لعننا لهم سنكون نلعنهم كما لعنهم الله ونحصن أنفسنا من ماذا؟ من أن يحولونا إلى كفار، إذا لم تلعنهم سيحولونك إلى كافر يلعنك الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾.

﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾(البقرة:١٠٩) من الأشياء المضحكة الآن أن يقول البعض: إن الله قال: إن على الناس أن يعفوا وأن يصفحوا! كلمة (عفو وصفح) عادة لا تأتي إلاّ في مقام القدرة على المؤاخذة، لا يُقال للمقهور للمظلوم للمستضعف للعاجز: اعفُ واصفح، أبداً، استعمالها عند العرب استعمالها عند الناس لا يقولون للعاجز عن المؤاخذة: اعفُ واصفح، أبداً، إنما تقال لِمن؟ لمن لديه قدرة على أن يؤاخِذ، من لديه قدرة على أن يضرب الآخر، يقال له: اعفُ عنه واصفح ربما وقت آخر، هل العرب الآن في مقام أن يُقال لهم: اعفوا عن اليهود واصفحوا؟! أبداً.

في حركة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في بناء الأمة في صراعه مع آخرين الذي كان يحصل من جانب اليهود كان اليهود لا يشكلون خطورة بالنسبة للميدان، وكانت المواجهة معظمها ميدانية في أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هناك قبائل عربية هناك قريش وقبائل أخرى أشداء في المواجهة، أعداء ميدان، نزول ميداني، اليهود لا يجرؤون وإنما فقط من بعيد من بعيد، هؤلاء لا تنشغل بهم الآن، هذا العدو الذي في الساحة الآن، والآخرون ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ ستلف عليهم فيما بعد.

لم يكن العفو أو الصفح بمعنى: أمَّا أنتم فأنتم أهل ديانة لن نكلمكم، وأنتم، وأنتم... لا، معناه: اعرض عن هذا الموضوع وليس الآن وقت أن تؤاخذ بالنسبة لهم، في الساحة أعداء ميدانيون يشكلون خطورة، عندما تحقق انتصاراً على هؤلاء ستلحق هؤلاء، وفعلاً عندما تأتي إلى قراءة سيرة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) تجد: أن ضربه لليهود كان بعد اتضاح خيانة ومؤامرات من جانبهم وضربهم على هامش حركته في بناء الأمة ومواجهة العدو الآخر.

﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾(البقرة:١٠٩) يأذن، فهي حركة، هي مسيرة، وليست قضية أحكام شرعية كما يقال: ناسخ منسوخ، ليست قضية أحكام، بل قضية مسيرة؛ لأن هذا الدِّين هو دين حركة، دين مسيرة، دين عمل، أنت هنا لا تنشغل بهؤلاء وإن كان لديك قدرة أن تضربهم، اتركهم هناك، ابدأ بهؤلاء ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ أمر الله سيأتي في الوقت الذي يمكن أن يضربهم، عندما ضربهم هل حصل ردة فعل من أيِّ طرف آخر ضده؟ لأنها كانت وضعية حكيمة، ضربهم في الوقت المناسب، وضربهم في الوقت الذي ماذا؟ قد حصل بالنسبة لهم وهم أهل كتاب ما يجعلهم يعرفون: بأن هذا الدِّين حق وما يظهر من خلاله تمردهم وعنادهم ومحاربتهم، فكانوا هم من برزوا في الصورة، من اتجهوا ضده وتآمروا، ضربهم في الأخير.

﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(البقرة:١٠٩) لن يفوته شيء ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ﴾(الأنفال:٥٩) هو على كل شيء قدير. هذه القضية لم تكن خاصة باليهود كان بعض القبائل أو بعض الجهات العربية الأخرى يسكت عنهم يصفح ويعفو فترة ويتجه.

العمل يكون فيه أولويات، العمل باعتبار المرحلة باعتبار وضعية زمنية مُعيَّنة يكون فيه أولويات ولا يقوم الإسلام على أساس أن يؤمِّن جوانب أخرى؛ لأنها ستكون عملية لا أخلاقية، يؤمِّنهم أو يدخل معهم في معاهدات ومصالحات ومتى ما تمكن نقضها وضربهم! هذه لا تحصل أبداً ولا حصلت، فكان له من الطرف الآخر موقف، لا نقول: بأنه قد أمنَّهم وأنهم مقرين على ما هم عليه، وأنهم لا يصل إليهم شيء منه، وأشياء من هذه! ليس منشغلاً بهؤلاء هو يبدأ هنا يشتغل؛ لأن مسيرة العمل تكون مسيرة يجب أن تكون حكيمة في أولوياتها، حكيمة في قراراتها، أي: لم تكن حتى قضية خاصة باليهود هذه في أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(البقرة:١١٠) هذه سبق توجيه بها، أهمية الصلاة وأهمية الزكاة كنماذج تمثل مجالاً عبادياً هاماً في موضوع ذكر الله، مجالاً عبادياً هاماً في موضوع ماذا؟ الإنفاق في سبيله وبذل المال في سبيله، هذه الآية هي شبيهة بآية أخرى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾(النساء:٧٧) هنا يطمئن المسلمين باعتبار: هنا توجد مسيرة، مسيرة هدى صحيحة؛ لأنه أحياناً يأتي التقييم بالنسبة للناس بأنه فرصة لو تبدأ هنا أو هنا، يقول: لا، استقيموا على ما أنتم عليه، أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، استقيموا على ما يُقدَّم إليكم من توجيهات وعبادات وأشياء من هذه حتى يأتي الله بأمره، أمر الله لا يتلخص في موضوع وحي إلهي ينزل، من أمر الله وضعيات، وضعيات وتغيير وتهيئة مجالات وأشياء من هذه، في موضوع تدبير الله أمر الله هو في تدبيره كما هو في وحيه وتشريعه تماماً.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾(النساء:٧٧) لا تقولوا: نحن عندما نعفو عنهم هذه المرة ونسكت سيكون مشجعاً لهم علينا، لا، على أساس ماذا؟ أن هناك أولويات ليس معناه مجرد صبر على ما يحصل من لديهم من أذية، لا، معناه هناك أولويات، أنتم استمروا على ما أنتم عليه وفي الميدان الذي أنتم فيه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾(النساء:٧٧) ماذا يعني؟ أنتم لا يكن عندكم أنه إذا لم نهتم بهذه القضية الآن أو لم نستغل هذه الفرصة الآن وأشياء من هذه ستضيع الفرصة أو سيستفحل أمر هذا الطرف أو أشياء من هذه، لا، توجَّهوا وامشوا على ما بين أيديكم، استقيموا على ما بين أيديكم مما قدِّم إليكم من الدِّين ومن التوجيهات وغيره.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ عندما يقول: كفوا أيديكم، أو اعفوا واصفحوا لا يوجد في المقام

ما يُسمَّى أحكاماً شرعية بالنسبة للطرف الآخر أنه بمعنى لا يجوز، أن المعنى فاعفوا واصفحوا أنه لا يجوز أن تؤاخذوهم باعتبارهم هم، وضعيتهم هم وما هم عليه لا يجوز لأحد أن يكلمهم، لا، بالنسبة لكم مسيرة بالنسبة لكم مرحلة لها أولوياتها وليس هناك شيء سيفوت، معناها ليس هناك شيء سيفوت ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(البقرة:١٠٩) كما قال.

﴿قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ كأن فيهم تنطّطاً (لا بُد من كذا) ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ كيف قالوا؟ عندما كتب عليهم القتال: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾ قد صار فيهم خشوع وخضوع لكن بالمقلوب ﴿لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلاَ أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ يدعون وبهذه العبارات الرقيقة: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلاَ أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾(النساء:٧٧) ربما قد تحصل حالة كهذه للمتنطعين الذين يسمون بهذا، أي: لا تسير مسيرتُهم على أساس من هدى الله والتي تكون الأولويات فيها مبنيَّة على حكمة دقيقة، تراهم متنطعين، هؤلاء ربما قد يأتي لهم موقف ثم يقولون بعد: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾ لكن إذا كانت المسيرة تسير بشكل صحيح فلن يصلوا إلى حالة كهذه، إذا كانت المسيرة تسير بشكل صحيح فلا يكون فيها مما يُعتبَر ماذا؟ صدماً لتنطعهم؛ لأن هذه الحالة تكون مزعجة بالنسبة للقيادات بالنسبة لرسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أشخاص هناك قد صارت أنفسهم مليئة بالشجاعة والرجولة "فقط مماسكين لهم"[1] أحياناً هذه الحالة تربك القيادة في اتخاذ قرارات حكيمة قد يكونون هم لا يفهمون الوضعية: ما هو المناسب وما هو الأنسب ومتى وأين، إذاً هؤلاء سيكونون مزعجين قد يورطون أيَّ قيادة تسير وراءهم.

لكن يمشون هم بشكل صحيح: صلِّ وصُمْ ولا شأن لك باعتبار أولئك الذين أنت تركّز عليهم الآن، وامشِ في الاتجاه على حسب الأولويات، وامشِ على ما أنت عليه وما يُقدَّم لك من الدِّين، أي: هنا مقام: (لا شأن لك) للمتنطعين يقول: لا شأن لك بمعنى: لا شأن لك أمام هذه النقطة ليس القرار فيها إليك وليس تحديد الأولويات فيها إليك، احتفظ بشجاعتك هذه، اتركها توظف في مجالاتها. عندما تسير الأمة على هذا النحو لن يمروا بحالة يصدمون فيها فيحصل تراجع نفسي وبعد ذلك في الأخير يقولون: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلاَ أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾(النساء:٧٧).

لكن المتنطعين قد يَصلون إلى حالة مثل هذه بمعنى ماذا؟ يأتي التوجيه على أساس الطاعة، على أساس الفهم، على أساس الوعي يوجد أولويات، ألست في بعض الأحيان قد تكون الأولوية لديك مرتبطة بتقييم وضعية في محيط – مثلاً – البلاد التي أنت فيها المنطقة التي أنت فيها؟ قد تكون الأولويات محسوبة بحسابات هي أوسع من دائرة منطقتك فعلاً، مثلاً تجد في الوقت الذي كان المسلمون مع رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في مكة يُعذبون – وفيهم ناس أبطال ممكن أن يقاتلوا – يعذبون وآخرون يُهجَّرون يذهب إلى الحبشة منهم أعداد كبيرة بالعشرات وكان بإمكان هؤلاء أن يقاتلوا لكن لا، ليس الآن ليس باعتبار أنه لا يجوز بالنسبة للطرف الآخر، لا.

إذاً عندما تنظر إلى وضعيتهم – وفيها أولويات – لا تحسبها بحساب محيط مكة أو حتى الجزيرة وحدها، لا، هناك تدبير إلهي واسع موضوع ما بين الروم والفرس، بل أحياناً قد يبدو بأن هذا الشيء يتحكم – بحسب إرادة الله سبحانه وتعالى – في نسبة الأعداد في نسبة الإقبال فعلاً قد تكون مرحلة مُعيَّنة ليس مناسباً فيها أن يكون الإقبال كبيراً من ناحية مصلحة العمل نفسه، قد تحصل هذه، لو كان الإقبال كبيراً مثلاً بناء على ماذا؟ على أنه يوجد أشياء أخرى هناك اعتبارات أخرى محيط آخر قد يكون بالشكل الذي يُعتبَر ماذا؟ مثيراً جداً، لكن لا، اصبروا تحمَّلوا، بعضهم يكون عليه صخرة وهو فوق رمضاء مكة في حرارة الشمس الشديدة يصبرون. هنا يصبرون، لكن العمل الإلهي هناك في محيط العالم بكله بل عندما تتأمل أن الترتيبات تكون ربما من قبل ولادة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ومن قبل أن يُبعث هو (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ترتيبات بشأن العالم.

إذاً فموضوع الأولويات أحياناً لا تقاس بمقاييس محيطك حتى ولو رأيت أن بالإمكان أن تمسح طرفاً مُعيَّناً ربما لا، ليست القضية بهذا الشكل؛ لاعتبارات أخرى هي أوسع من محيطك، عندما يقول لهم هنا: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾(البقرة:١٠٩) واترك شجاعتك ورجولتك وكل شيء وفق أمر الله هذا أجمل شيء وأحسن شيء وأفضل شيء تحرك وفق أمر الله، لا تأتِ تتنطط في وقت ومتى ما جاء أمر الله تقول: ﴿رَبَّنَا لِمَ

(١) مماسكين لهم: من اللهجة العامية، أي: كأن هناك من يحاولون أن يمنعوهم، وتستخدم للتهكم بالمتنطعين.

﴿كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾ وكان هذا وقت الفرصة في الواقع عندها تقول: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾(النساء:٧٧).

﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾(البقرة:١٠٩) وعندما يقول: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ ليسوا مثلنا جالسين في المساجد ليس لهم دخل من شيء، أي: عند جانب مُعيَّن لا تنشغلوا بهم والمسلمون في حركة يرون أنفسهم في مواجهة آخرين مواجهة مشركين مواجهة قتال، ليس باستطاعتهم أن يقاتلوا اليهود في نفس الوقت؟ لا، ليس الوقت مناسباً الآن ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾(البقرة:١٠٩) ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(البقرة:١١٠).

يعود الحديث إلى موضوع أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾(البقرة:١١١) أي: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلاّ من كان يهودياً، والنصارى قالوا: لن يدخل الجنة إلاّ من كان نصرانياً ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ مجرد أماني ومجرد أكاذيب متشاجرين على الجنة وليسوا حولها كلهم! ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(البقرة:١١١) على هذا الادعاء، كيف يستطيعون أن يقدِّموا برهاناً في هذه الحالة وواقعهم على هذا النحو الذي ذكره الله سبحانه وتعالى؟ هم يعلمون بأنهم قتلوا الأنبياء وكانوا يكذبون ويحرفون، كيف يستطيع أن يدَّعي اختصاصه بالجنة؟ بل كيف يستطيع أن يدَّعي بأنه من أهل الجنة؟! ما بالك بالاختصاص: لن يدخل الجنة إلاّ من كان يهودياً والآخر يقول: لن يدخل الجنة إلاّ من كان نصرانياً.

هنا يُقدِّم المسألة أيضاً بما يتنافى مع ما هو أساسي في هذه الآيات: أن دين الله لا يكون قومية، ليس قومية، ليس - فقط - ديناً لقومية أو لعنصرية أو لفئة مُعيَّنة، دين الله هو يتسع للجميع، هم كيف أصبحوا؟ أصبحوا منزويين على أنفسهم، بل سموا الدِّين باسم قوميتهم هم، أصبحت اليهودية تعني ديناً عندهم سموا الدِّين باسمهم وجعلوها قومية، وجعلوا دين الله (شريعة موسى) أيضاً قومية؛ لأن كلمة (يهود) وكلمة (نصارى) هي: قوميات جعلوها ديانات، هذه هي من السلبيات ومن السيئات هي في حد ذاتها مما تظهر بأنهم أصبحوا يُقدِّمون الدِّين على خلاف ما أنزله الله على الإطلاق.

هو أنزله للبشر جميعاً، وجعل اسمه عنواناً لا يرتبط بقومية على الإطلاق (إسلام) والإنسان الذي يدين بدينه، أي: أسلم وجهه لله: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾(البقرة:١١٢) الدِّين ليس ديناً يصح أن يُسمَّى ويطلق عليه عبارات قومية عبارات عنصر مُعيَّن (يهودية، نصرانية) لا يصح أن تسمي الإسلام (عربية) أي: هم بالنسبة للدِّين سموه كما لو جئنا نسمي الإسلام عربياً. دين الله يحمل عنواناً هو فوق هذه الأشياء بكلها ويستوعب الأشياء كلها مفتوح، لماذا؟ لأن العنصرية القومية أحياناً تشكل عوائق أمام الآخرين؛ لأنه في الأخير يترافق معها ماذا؟ تثقيف عنصري تثقيف قومي، والآخر هناك مِن عنده، شكّل كل طرف أسواراً على أنفسهم، فلم تعد هناك إمكانية لأن يكون الدِّين بالشكل الذي يدخل فيه القوميات الأخرى، فهذه من مساوئهم الكبيرة.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾(البقرة:١١١، ١١٢) لاحِظ كيف رفع العبارة تماماً عن موضوع ماذا؟ القوميات: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ فليكن من داخل مجتمع اليهود أو مجتمع النصارى أو مجتمع العرب أو الفرس أو الأفارقة أو من أيِّ منطقة كان ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(البقرة:١١٢) أليس هذا رداً عليهم ويُبيِّن خطأهم في كيف مزقوا الدِّين وحولوه إلى قوميات وعنصريات؟ ثم الجنة قد صاروا يتشاجرون عليها، أي: كأن تقول: قد صار يتشاجر آل فلان وآل فلان، ولم تعد المشاجرة عليها تحت عنوان دين مثلاً، قد صارت مشاجرة بين اليهود والنصارى - مثلما تقول: بين العرب والفرس - على الجنة! ليست القضية بهذا الشكل، الجنة الله جعلها على هذا النحو: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ كلمة ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أخضع نفسه، عبَّد نفسه، من كان على هذا النحو سيكون قابلاً لأن يسير على هدي الله ويأتمر بأوامر الله وينتهي بنواهيه ويتوجه بتوجيهاته، يُقبَل.

لو أنهم على هذا النحو: مسلمون وجوههم لله لقبلوا، لكن لا، أطّروا أنفسهم بأطر قومية؛ ولهذا جاء في سياق الآيات الكلام عن إبراهيم ما كان يهودياً ولا نصرانياً وكان مسلماً وأوصى أولاده بالإسلام ودعا الله أن يجعله وأولاده مسلمين، ويعقوب كذلك، تراها أيضاً كيف كانت قضية تحدث عنها بشكل كبير: موضوع الإسلام لله.

إذاً نفهم من هذه: أن القضية هامة جداً جداً، أي: قضية تقديم الدِّين، لاحِظ الآن عندما تنظر إلى الأمريكيين أنفسهم من العوائق الكبيرة أمامهم أنهم قدَّموا أنفسهم للعرب كأمريكيين، أمريكا كدولة كأمة مستقلة لم يعد بالإمكان مثلاً أن يُقدِّموا أنفسهم بحيث يكونون قابلين أن العربي إذا كان على ما يريدون فهو منهم، أو أيَّ بلد يدخلونه سيعتبر أهل هذا البلد هو منا له ما لنا وعليه ما علينا، أبداً، يدخل الأمريكي وهو يريد من بلدك أن

ينهب ثرواته لشركاته هو، شركات أمريكية، أن يفرض نفسه كأمريكي، أي: كعنصر مُعيَّن وبلد مُعيَّن وفئة مُعيَّنة من الناس.

الإسلام عندما كان يفتح بلداناً كيف يكون أهلها؟ لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ألم يكن هو بهذا الشكل؟ الآن تراها عندما قدَّم الأمريكيون أنفسهم بعنوان قومي (أمريكا) شكلت عائقاً كبيراً أمامهم، أليس العراقيون يطالبونهم بأن يخرجوا؟ هل كانت الشعوب التي كان يفتحها المسلمون يطالبونهم بأن يخرجوا منها؟ لا، لأنه لا يرى أن هناك فئة احتلته احتلالاً بحسب منطق الإسلام العام أبداً، مسلمين، أي: لنا ما لهم وعليهم ما علينا، غاية ما هناك أن اتسعت الدائرة فقط، لا يأتي كطرف آخر ينهب ثرواتك هناك مثل لو كان ملكاً له يذهب به إلى هناك، الأمريكيون الآن أليسوا يظهرون يريدون نهب ثرواتهم لمن؟ للإنسان الأمريكي.

إذاً فالمسلمون هم يحملون عنواناً هاماً جداً – من إيجابياته الهامة إزالة عوائق كثيرة تخلق عند الشعوب وتخلق في النفوس فيما إذا ما قدِّم الموضوع بعناوين قومية أو عنصرية – إسلام، فإذا دخل المسلمون بلداً غاية ما هناك ماذا؟ لن يجد أهل ذلك البلد أن هؤلاء جاؤوا يحتلوننا، جاؤوا ينهبوننا، أبداً، بل لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ثرواتهم لهم، ثرواتنا أيضاً لهم، ثروات الكل لبعضهم بعض، هل يستطيع الأمريكي أن يعتبِر العراقي: له الحقوق التي يتمتع بها الأمريكي؟ أبداً، لو تأتي انتخابات في أمريكا هل سيشركون العراقيين فيها؟ هل يعتبرون أنهم شركاء في الجنسية الأمريكية؟ أبداً، إذاً ترى هذه بأنها شكّلت عائقاً كبيراً جداً أمام الأمريكيين على الرغم من قوتهم الكبيرة وتمكنهم الكبير.

لاحِظ الأمريكيين أحياناً يتهربون من عبارة: القوات الأمريكية أو الجيش الأمريكي، يأتون بعبارة (التحالف) باعتبار أنه عنوان عائم شيئاً ما، كأنهم لمسوا هذه، لمسوا من البعض هذه الإشكالية فحاولوا أن يأتوا إلى عنوان يُعتبَر عائماً نوعاً ما، لم يعد يمثل إشكالية معنى التحالف: قوى مُعيَّنة. لم يخرج عن إطار قومية نهائياً؛ لهذا كان مهماً جداً هذا العنوان بالنسبة لدين الله الذي هو لعباده جميعاً أن يحمل العنوان الذي يمثل الإسلام له الإسلام، تجد كلمة (إسلام) لا تعني قومية مُعيَّنة ولا تعني عنصراً مُعيَّناً ولا تعني لوناً مُعيَّناً أبداً.

إذاً عندما ترجع مثلاً إلى موضوع: أن القرآن عربي، الرسول عربي، يقول عن العرب: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ فليس المعنى انطلاقات قومية، أبداً، معناه ماذا؟ النهوض بمسؤولية، هذه المسؤولية كلها لتصل بهذا العنوان وهو: الإسلام لله. ليس المعنى: أن العرب أنفسهم هم يتحركون ليحتلوا هم كعرب بلدان الآخرين وامتيازاتهم كعرب فيما يتعلق بثروات الآخرين وشركاتهم كعرب فيما يتعلق بثروات الآخرين، لا يوجد، بل هي مسؤولية أن ينهضوا بها هم. إذاً عندما تكون القضية مبنية على أساس أن هذا فعلاً هو دين للعالمين جميعاً ويهدي للتي هي أقوم، والعالَم يحتاج إلى لغة واحدة لغة عالمية، فأن يربط هذا الكتاب الذي هو للناس جميعاً بأرقى لغة والله يعلم أنها أفضل لغة وأرقى لغة، أي: ربطهم بلغة عالمية، لم يربطهم بقومية أبداً.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾(البقرة:١١٣) لاحِظ كيف ظهرت الإشكالية، أي: أن الدِّين عندما يتأطر بأطر قومية سيصبح محط ماذا؟ اختلاف بين قوميات، عندما يتأطر بأطر قومية أول شيء يتشاجرون على الجنة، فادّعى أولئك أنه لن يدخل الجنة إلاّ من كان يهودياً، وادعى أولئك بأنه لن يدخل الجنة إلاّ من كان نصرانياً، أيضاً وفيما بينهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ إذاً لو فهِمت القضية لديهم وقدَّموها (إسلام لله) نلتقي عليه جميعاً لَمَا وُجدت أيُّ إشكالية، أي: هذه هي من سلبيات تأطير الدِّين بأطر قومية لا يترك عنوانه العنوان الإلهي: إسلام.

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾(البقرة:١١٣) هذا الذي فيه عنوان الدِّين كيف هو؟ ليس عنوان يهودية ولا عنوان نصرانية؛ لهذا نقول: يجب أن نفهم بأن من المغالطات الكبيرة عندهم عندما يُقدِّمون اليهودية ديانة سماوية، النصرانية ديانة سماوية، أبداً، اليهودية قومية، فإذا هم سمَّوا الدِّين باسمها فلا يمكن أن يكون هو اسم الدِّين السماوي أبداً، الدِّين السماوي هو واحد: إسلام لله.

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ الذي فيه ما يحسم هذا الاختلاف، يحسمه. الإمام زيد يقول في هذه الآية: (بأن الله عجَّبنا من بني إسرائيل فقال: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ أي: وهم يتلون الكتاب الذي هم متفقون عليه) أي: التوراة؛ لأنها كانت محط اتفاق ما بين اليهود والنصارى، في الواقع هي مازالت محط اتفاق وهم يتلون التوراة ويتلون الإنجيل وفيها ما يحسم الخلاف!

يؤكد هذا بأن الكتاب الإلهي هو بالشكل الذي يحسم الخلاف تماماً بينهم، لكن أحياناً متى ما أطّروا الدِّين بأطر مُعيَّنة أحياناً متى ما نزلت ثقافة مُعيَّنة تعطي مفاهيم مغلوطة في تناول الدِّين في الأخير يصبح الكتاب بالشكل الذي لم يعد يحسم الموضوع فيما بينهم؛ لأن كل واحد قد صار يتناوله ليس على أساس أن يحسم موضوع الخلاف، أي: لم يعودوا يعتبرون الإشكالية الرئيسية هي: كونهم مختلفين.

هذا حاصل عند المسلمين الآن، أليس القرآن قائماً بين أيدينا؟ القرآن موجود وكلهم يقولون: إن القرآن هو المرجع، لكن الإشكالية أنهم يختلفون على مسألة مُعيَّنة أو موقف مُعيَّن، وكل واحد يحاول أن يرجع ليعطف القرآن على رؤيته، والآخر مثله، والآخر مثله، دخلوا القرآن وخرجوا مختلفين! لو اعتبِر أن الإشكالية الأساسية كوننا مختلفين، أي: ما دام أنه ظهر ونحن مختلفون إذاً فلنرجع إلى ما يحسم موضوع الاختلاف من حيث هو، نرجع إلى ما يحسم الإشكالية وهو كوننا مختلفين وليس إشكالية المسألة فقط التي نحن مختلفون فيها. كل واحد يرجع ويحاول أن يؤوِّل القرآن على ما يسند رأيه: هذا قال: أبداً، وهذا قال: أبداً، وهذا قال: أبداً، وكل واحد تمسَّك برأيه، وقد دخلوا القرآن وخرجوا، وقد طبقوا ما يقولون بأن القرآن يمثل حلاً للاختلاف، لكن كيف قدَّموه؟ بواسطة هذه الطريقة!

الرجوع الحقيقي: أن المسألة من أولها هي ظاهرة الاختلاف، ظاهرة الاختلاف يجب أن تحسم، أي: أنه لا بُد أن هذا الكتاب يهدي إلى طريقة لا اختلاف فيها، لا نختلف إذا سرنا عليها، عندما يرجع إلى الكتاب على هذا النحو فعلاً ستحل الإشكالية التي هي الاختلاف من أصله في المسيرة كلها، في المسائل كلها.

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾(البقرة:١١٣) الحكم في الاختلاف شيء، البيان الذي يحول دون الاختلاف قد حصل، ليس معناه بأن الله أرجأ المسألة تماماً إلى يوم القيامة، بل الحكم الذي يترتب عليه الجزاء، أمَّا التبيين نفسه للطريقة التي تحسم الخلاف ولا يختلف الناس إذا ساروا عليها فهي بينات عليها قائمة، بينات وليس فقط غوامض.

إذاً عندما يصل المسلمون إلى هذه الحالة ماذا يقال عنهم؟ ﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾ المسلمون طوائف، أليست كل طائفة تعتبِر الطائفة الأخرى تقريباً ليست على شيء، ونحن جميعاً نتلو الكتاب؟ وعندما يقول: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾(البقرة:١١٣) أي: أنه لو كان هناك فكرة صحيحة في عملية الرجوع إليه فإن من خلال ظاهر تلاوته وليس فقط التعمق في أعماقه، من خلال تلاوته هناك آيات بينات تحسم الموضوع من أصله تماماً ويرجع الناس كلهم إلى الطريقة التي إذا ساروا عليها لا يختلفون في المسائل كلها نهائياً.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(البقرة:١١٤) أليست هذه القضية تبدو متعددة؟ أي: بالنسبة لهذه الآيات تتناول أشياء يبدو وكأنه لا انسجام فيما بينها، لو تحاول أن تربطها هي فيما بينها ربما قد لا يظهر انسجام، لكن انظر إلى الموضوع من أساسه، من ابتداء العرض الشامل عن أهل الكتاب.

في حالة الصراع الطائفي قد يصل إلى ماذا؟ إلى أن كل طرف يمنع الطرف الآخر من مساجد الله التي هي لله وللمسلمين لله، وفي الأخير تمنع من أن يذكر فيها اسمه، وقد يكون ربما النصارى واليهود مثلاً كل طائفة أصبحت بهذا الشكل، ثم هم عندما أصبحوا طوائف أصبحوا بهذا الشكل.

وصل المسلمون إلى هذه الحالة أيضاً؛ لهذا قد يكون كحالة مما يمكن أن تكون من ماذا؟ من آثار الصراع الطائفي الذي من أسبابه تقزيم الدِّين وتأطيره في أطر قومية، ومن أسبابه الرئيسية الإعراض عن الطريقة التي رسمها الله سبحانه وتعالى بحيث لا يحصل أيُّ خلاف من هذا، وقد تؤدي فعلاً بطرف إلى أن يمنع الطرف الآخر من مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، وبالتأكيد يوجد طرف مُبطل، بالتأكيد هناك طرف مُبطل في القضية، في منعه قد يكون منعاً - مثلاً - حقاً وقد يكون باطلاً، بالتأكيد في حالات كهذه يُوجَد طرفٌ عملية منعِه هذه تُعتبَر ماذا؟ من أشد أنواع الظلم: ﴿وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾.

لأنه في الأخير ستأتي مفاهيم خاطئة حول كثير من شعائر الدِّين، كل فئة مثلاً تقدِّم دوراً للمسجد - أو سابقاً للكنيسة أو للمعبد - بالشكل الذي يَعتبِر الطرف الآخر: (لا يصح له أن يعمل هذا العمل في هذا المكان أو أن يدخل هو في هذا المكان) أي: اعتبِر هذه بشكل عام من مظاهر الناس عندما ينصرفون عن هدي الله، كيف يصبحون متشاجرين على الجنة، ثم في الأخير متشاجرين على مساجد الله بالعنوان العام لمساجد الله، بيوت

الله للعبادة، قد تؤدي المسألة إلى أن يكون هناك طرف وهو في هذه القضية يُعتبَر موقفه من أظلم المواقف ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ يكون به من أظلم عباد الله، من أظلم الناس.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(البقرة:١١٤) وبعدها يُبيِّن دور المساجد، مساجد الله، وأهم مساجد الله هو المسجد الحرام، وهذه الظاهرة حصلت بالنسبة للمشركين في عملهم مع المسلمين، أيضاً حصلت بالنسبة لليهود من جانب آخر، قد تأتي أيضاً في موضوع آخر سيأتي الحديث عن مسجد الله الذي أصبح في الأخير قبلة والذي أسسه إبراهيم، إبراهيم هو الذي أسسه والذي يحاول اليهود والنصارى أن يتنافسوا على أولويتهم به، كيف انتهت المسألة بالنسبة لهم حتى لم يعودوا يتخذونه قبلة، من أين جاءت هذه؟ أشياء كثيرة قد يكون منها ومن أبرزها موقفهم السلبي من إسماعيل وبني إسماعيل. كان إسماعيل وبنو إسماعيل هم هؤلاء في هذه المنطقة وفي محيط المسجد الحرام ومكة، وفعلاً تجد أنه كان هناك نظرة لديهم وتعصب شديد ضد إسماعيل وبني إسماعيل، محاولة غمر لهم وتهميش لهم.

هنا عملية المنع ليس معناه المنع المطلق تماماً إنما المنع من أن يُؤدَّى في مساجد الله الدورُ الذي من أجله بُنيَت وأقيمت وشرعت ﴿أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ يذكر فيها اسمه ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ خرابها العبادي للهدف أو الغرض الذي من أجله شرعت، أمَّا عندما تحرَّف المساجد ويحرَّف دور المسجد نفسه وتحاول أن تعيد للمسجد حيويته وتفهم بالدور الرئيسي للمسجد والدور الشامل للمسجد والآخرون يقولون: لماذا؟ أو لم يعودوا يحضرون المسجد، لا يُعتبَر من هذا القبيل (من الظلم) يجب أن يفهم من البداية الدور المهم والأساسي للمسجد، وبعدها نحن كلنا نقول: من منع مساجد الله أن يُؤدَّى فيها هذا الدور الذي من أجله بُنيَت على هذا النحو ولهذه الغاية فهو ظالم ومِن أظلم عباد الله.

إذاً هذه قد تكون خطيرة بالنسبة للناس الذين يحاولون أن يمنعوا من يرفعون (شعاراً) في المساجد، في وضعية نحن بحاجة إلى المساجد فيها، في تقديم هذا العمل وباعتبار السيطرة الواسعة على الشوارع، أصبحت الشوارع نفسها خاضعة للأحكام العُرفية، لحالات الطوارئ لقوانين متعددة، معك المسجد، المسجد يمثل أول معقل وآخر معقل للمسلمين، أول وآخر معقل لهم، إذا جئت تريد أن تخرج إلى الشارع، الشارع مليئ بالقوانين، الشارع مليئ بالثغرات، أن يدخل الكثير من عملاء أمريكا في صفوف الناس فيشوهوهم، هم يرفعون شعارات معادية لأمريكا وإسرائيل فيشوهونهم بتكسير سيارات ونهب محلات وتكسير لوحات الدكاكين وأشياء من هذه؛ حتى يجعلوا الناس في الشارع يلعنونهم هم، تكون أنت تلعن أمريكا وإذا بالناس يلعنونك.

عندنا في اليمن جعلوا الشوارع فيما يتعلق بالمظاهرات ممنوعة إلاّ بأن تستأذن وأن تُبيِّن الشعار الذي تريده ما هو؟ وفي نفس الوقت من أين تبدأ؟ وأين تنتهي؟ ومن الذي ينظم المظاهرة؟ هذا القانون قدِّم والوضعية بالنسبة لهم بالشكل الذي لا يستطيعون أن يسمحوا لنا أن نخرج الشارع وإلاّ فقد قلنا لهم: هاتوا لنا إذناً، ومستعدين أن نخرج إلى الشارع في صنعاء، نحن شعارنا: [**الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام**] أعطوا لنا ترخيصاً ونحن نخرج إلى الشارع، لن يجرؤ أن يعمل لك ترخيصاً؛ قد "زنقوا"[1] أنفسهم هم.

إذاً فما دام أنه يرى نفسه قد أحبِط وخرج الشارع من يده فعلاً، أصبحت الهيمنة الفعلية للأمريكي على الشارع، إذا لم يعد باستطاعتك وأنت وزير داخلية أو أمين عاصمة لم يعد بإمكانك – حتى ولو أنت ترى أمريكا عدوة لك وتريد أن تزيلك وتزيل النظام الذي أنت منه – أن تسمح بشعار يُرفع في الشارع؛ إذاً فلم تعد إلاّ مجرد هيكل وصورة، قد صارت الهيمنة في الحقيقة للأمريكي، هل تستطيع أن تعطي ترخيصاً أن نرفع الشعار بشكل مظاهرة كل يوم جمعة في الشارع؟ فأعطنا ترخيصاً، هذا شعارنا، نبدأ من المكان الفلاني وننتهي في المكان الفلاني، ومظاهرة سلمية على أرقى درجات السلمية، فقط أسلمونا المشاغبين من داخلكم، أي: حاولوا أن تؤمِّنوها ألاّ يكون هناك من يخترقها من المخابرات الأمريكية وعملاء أمريكيين يحاولون أن يشوهوها، لكنه لم يعد يجرؤ.

نحن نقول: نتحدى ونطلب من وزير الداخلية أو من أمين العاصمة أن يعطينا ترخيصاً بأن تأتي مظاهرات كل جمعة لهؤلاء الناس يرفعون فيها هذا الشعار؛ لأنه لا بُد في إعطاء الترخيص أن يعرف ما هو الشعار، قد

(١) زنقوا أنفسهم: ضيَّقوا على أنفسهم.

خدعهم الأمريكيون أو أناس لهم علاقة بالأمريكيين وتحت عنوان: (تنظيم مظاهرات) يكون بالشكل الذي يمنع ويحول دون مظاهرات مضادة ومعادية لأمريكا وإسرائيل.

عندما يمنعون الناس أن يرفعوا شعاراً هو الذي ينسجم مع شرط رئيسي ذكره الله في الآية: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾(التوبة:١٨) قل لي: ما هي النقطة الآن في المساجد التي يمثل عُمَّارُها فيها وبإقامتها قول الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾؟ الآن بالنسبة لِمَا هم عليه في المساجد، هو يعرف بأنه يمكن أن يصلي ويؤذن ويخطب ويحاول أن يؤقلمها كلها بالشكل الذي يظهر أنه يخشى غير الله، فقدَّم الصلاة ميتة وقدَّم الأذان ميتاً والخطبة ميتة والجمعة ميتة والناس يخرجون من عنده أموات بمعنى كما قال الله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾(الأنعام:١٢٢) يخرج من عندهم إلى ظلام ميتين لا يوجد معهم نور يمشون به في هذه الحياة، وفي وسط هؤلاء الناس، البشر بشكل عام.

إذاً معنى هذه بأن المساجد قد يكون فيها شيء بالشكل الذي يكون فيه إثارة لآخرين، فيجب أن يكون عُمَّارُها ممن لا يخشون إلاّ الله؛ لأن منبر المسجد مهم جداً، منبر المسجد يجب أن يكون بيد من لا يخشون إلاّ الله؛ لأنه هو الذي يستطيع أن يوجِّه الناس ويعطيهم نوراً يمشون به في الناس.

أمَّا إذا كان منبراً عليه هيمنة مُعيَّنة، الخطيب يخشى، أصحاب الصف الأول والذين هم ملازمون للمسجد يخشون، الذي بنى المسجد يخشى، في الأخير يقولون للخطيب: اسكت، ويقولون لإمام المسجد: اسكت، وإذا جاء الأمريكي لا تقرؤوا آيات جهاد ولا تقرؤوا آيات حول بني إسرائيل! سيقولون: مستعدون، اسكت، اسكت.. وفي الأخير يصبح المسجد مسجداً أمريكياً، يصبح في الأخير ساحة لمن يخشون غير الله، والله يريد منه أن يكون بالشكل الذي يكون عُمَّارُه ومن يخطبون فيه ومن يؤمُّون الناس فيه ومن يؤذن يكونون ممن لا يخشى إلاّ الله؛ لأن المسجد سيصبح هاماً جداً.

لأنه أين يمكن أن تتحرك؟ هل المدرسة بيدك؟ هل الشارع بيدك؟ هل الإدارات الحكومية بيدك؟ هل لجنة المناهج بيدك؟ لا. لديك المسجد؛ لأن الله قد سماها بيوتاً له مساجد الله، ليست مساجد أحد، هي مساجده هو يجب أن ينطلق منها نوره هو، وبالتأكيد والشيء الطبيعي بأن ما يحصل في المساجد على أصلها وعلى دورها الحقيقي أن يكون بالشكل الذي يثير أعداء الله، شيء مؤكد.

فإن كان العُمَّار بالشكل الذي يخافون من الآخرين جعلوها لا شيء، وإن كانوا بالشكل الذي لا يخشون إلاّ الله جعلوا منها منابر نور، وجعلوا منها أماكن تصنع عند الناس حرية، وتعطي الناس هدى، وتعطيهم حركة، فيكون معناها ميدان نزول هدى الله، وربطها الله به كما ربط الكعبة به وسمَّاها هناك جعلها بيتاً له وجعل لها دوراً مُعيَّناً على مستوى الناس جميعاً على مستوى البشر جميعاً، عباده الموحِّدين جميعاً، المسجد جعله له: ﴿مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾(البقرة:١١٤).

إذاً عندما يأتي عمل مُعيَّن يكون بالشكل الذي يثير آخرين، ويتجلى خشية لغير الله داخل المساجد في الأخير يَتبيَّن لك أن كثيراً منها بُني لغير الله، لم يَبنِه لله؛ لأنك عندما تبنيه لله تحاول وتعمل على أن يُقدَّم منه نور الله بالشكل الكامل. يأتي تاجر من التجار يبني مسجداً، ثم يقول: اسكتوا، سيؤاخذونني، سيؤثر على مصالحي. طيِّب، أنت بنيته باسم الله وعملت له حزاماً وفيه آيات قرآنية، ومنارة، والله أكبر، بعضها أيضاً يكتبون فيها ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾(الجن:١٨) دورك أنك بنيت المسجد لله عندما يقولون: لماذا؟ قل: أنا لم يعد لي أيُّ تدخّل، أنا بنيته لله هو لله يُقدَّم منه دين الله.

فإذاً هي قضية هامة فهم دور المسجد على أساس هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾(التوبة:١٨) هذه صفة هامة تجعل للصلاة وللأذان وللخطبة حيوية تقدَّم على أصلها، ويكون لها فاعليتها، ويكون لها أثرها. إذاً فهم الجديرون بأن يُمنعوا من مساجد الله عندما قال الله هنا: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ﴾(البقرة:١١٤) الجديرون بأن يُمنعوا من المساجد هم الذين يحولون دون ﴿أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ وهذا عنوان عام، وعنوان واسع أن يُذكر فيها اسمُه.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ مسألة ذكْر اسمه ليس فقط مجرد أن أحداً يقول: الله أكبر، وإنما (الله أكبر) بفاعلية فعلاً؛ ولهذا انظر الفارق، أليس المصلون يقولون: الله أكبر؟ عندما يقول الشباب: (الله أكبر) هل يوجد زيادة على ما يقولونه هم: الله أكبر؟ فلماذا ينطلقون بقوة عليهم ويعتقلونهم

ويسجنونهم؟ هذه مواقف تنطلق من إعطاء النفس حيوية على أساس إعطاء ماذا؟ إعطاء ذكر الله حيوية (الله أكبر) هذه معناها هام جداً جداً، أي: إذا كنتُ فعلاً أعرف معنى اسم الله الذي أذكره به؛ فهو يعطيني انطلاقة هامة لا أخشى غيره، فعندما أقول: (الله أكبر) هو أكبر من أمريكا، وأكبر من إسرائيل أكبر من أيِّ طرف آخر، إذاً فأنطلق لأرفع شعاراً ضدهم وأقول: الموت لهم [**اللّه أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام**] أليست هذه من قيمة ذكر الله بمعناه الحقيقي؟ أي: إعطاء ذكره إعطاء اسمه فاعلية، والتعامل معها بإيجابية، بحيوية، وإلاّ فهناك كثير من الناس من يقولون: ﴿آمَنَّا﴾ هكذا مجرد كلام ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾(الزخرف:٨٧).

مجرد الكلام لا يكفي وحده، لا بُد أن يكون بالشكل الذي يعطي فاعلية يعطي أثراً منسجماً مع مضمون الاسم الإلهي (الله أكبر) التي هي من أبرز الكلام في المسجد يُدعَى بها إلى الصلاة: الله أكبر الله أكبر في أول الأذان، وتفتتح بها الصلاة، وتتكرر داخل الصلاة، مضمون هذا الاسم يجب أن يكون بالشكل الذي إذا كنتَ ترفعه وتعمل على رفعه فيجب أن يكون بالشكل الذي يترك مضمونه أثراً لديك، يتمثل في مواقف تنطلق فيها، وإلاّ فسيبقى مجرد كلام مثل كلمة المشركين (الله) ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾(الزخرف:٨٧) لكن هل انطلقوا على مضمون هذه ليوحدوه ويتركوا الآلهة الأخرى؟ لا.

﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(البقرة:١١٤) وقد يكونون فعلاً من يسمحون لأنفسهم إلى أنه لكونه يخشى غير الله يصبح خوَّافاً دائماً، عندما يأتي يُقدِّم خطبة ينتبه لا يقول كلمة يمكن أن تثير الآخرين، يكون خائفاً باستمرار، خائفاً، وينبغي ألاّ يدخلوها إلاّ خائفين ﴿لَهُمْ فِي الدُّنيَا خِزْيٌ﴾ وهذه حالة خطيرة جداً؛ ولهذا في بعض الروايات أنه قال: ((في آخر الزمان يكون عُمَّار المساجد وفقهاء الأمة من شرار عباد الله)) رواية عن الإمام علي؛ لأنه في الأخير يظهر لك منهم أنهم يجعلون المساجد أمريكية، أي: يخشون غير الله فيها، وهو يقول: عُمَّارها يجب أن يكونوا ممن لا يخشون إلاّ الله، وهذه القضية ليست سهلة، في الأخير يترتب عليها عملياً مواقف كثيرة، إذا كانوا يخشون غير الله سيؤقلم الخطبة على ما يريد غير الله، الصلاة على ما يريد غير الله، تقديم القرآن على ما يريد غير الله، تعليم الناس من فوق المنبر على ما يريد غير الله، وهكذا، وفي الأخير وإذا بالقضية تصبح خطيرة؛ لأنه يصبح في الأخير: ذهنيته وهو يصلي، يؤم الناس، ذهنيته وهو يخطب، وهو يعلِّم، كلها تكون نابعة من أن يؤقلم الموضوع مع الطرف الآخر الذي يخشى منه، أي: تصبح الصلاة في الأخير لغير الله، الأذان لغير الله، المسجد لغير الله بكله.

لأنها عبارة هامة: ﴿مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ مساجد الله ﴿أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ لا يمكن أن تبقى مساجد لله إلاّ إذا كان عُمَّارها ممن لا يخشون غير الله، هذه قضية أكيدة، لن تبقى المساجد لله ويرفع فيها اسمه إلاّ إذا كان عُمَّارها ممن لا يخشون إلاّ الله.

فهي قضية خطيرة جداً، وقضية تبدو واقعية عندما يقول عنهم: بأنهم سيكونون من شرار عباد الله؛ لأنك لاحِظ أليست الأمة الآن في مواجهة أشر أعداء الله؟ أليست المساجد من أهم المنابر للدفع بالناس إلى مواجهة هؤلاء الذين هم أشر أعداء الله وأعداء دينه وأعداء عباده؟ إذاً عندما يصبح عُمَّارها يحولون دون هذا العمل الذي هو ماذا؟ عندما يعطلون دورها لكونهم يخشون من هو أشر خلق الله؛ يكونون فعلاً من شرار خلق الله أو أشر خلق الله حقيقة، عندما يقول: ((في آخر الزمان)) آخر الزمان توافق مع ماذا؟ مع بروز أشر خلق الله، ومن يحولون دون عمل هو في مواجهة أشر خلق الله يعتبرون هم من شرار خلق الله.

تناول في هذه العبارة الفقهاء وعُمَّار المساجد، أي: المتعلمين أو العلماء وعُمَّار المساجد، وإلاّ قد يكون مثلاً في تاريخ الأمة المساجد فعلاً حرِّفت، لكن ما هو اختصاص آخر الزمان؟ أليس هذا هو الزمن الوحيد الذي برز فيه اليهود على أعلى مستوى، وأصبحوا هم يتحكمون ويُسيِّرون الدول الكبرى؟ إذاً برز شرار عباد الله أو أشر أعداء الله.

المساجد لها دور هام جداً في مسألة تقديم دين الله، وحث الناس على أن يتحركوا في سبيل الله، وتبصير الناس وتذكيرهم بمسؤوليتهم في مواجهة أعداء الله، وتذكيرهم بأن دينهم يمثل حلاً يلجؤون إليه ويتمسكون به، ما هو المسجد؟ هو المسجد الذي يلتقي فيه الناس تلقائياً، ومربوط بعبادات يسير الناس إليها، فعندما يُقفل هذا المجال فهو يعني ماذا؟ قضية خطيرة، ترى الشارع مملوكاً والمدرسة مملوكة والساحة مملوكة ووسائل الإعلام مملوكة والصحف مراقبة ومؤسسات الدولة كذلك مملوكة، كل شيء مملوك، لم يبقَ إلاّ المسجد الذي هو لله، فيجب أن يبقى لله.

إذا لم تبقَ هذه المنابر لله بسبب مَن؟ ومن أين ظهر؟ ظهر من قبل عُمَّارها يؤكد لك أن هذا الحديث فعلاً في وقته وأنهم فعلاً من أشر خلق الله، ومن أشر عباد الله؛ لأنهم يحولون دون أن تكون المساجد منابر ينطلق الناس منها لتبصير بعضهم بعضاً بمسؤوليتهم أمام الله ليواجهوا شر وأشر أعدائه وهم اليهود؛ لأن أعداء الله هم يتفاوتون في الشر وفي الخبث، يتفاوتون: ناس أشر من ناس، وناس أكفر من ناس، وناس أخبث من ناس، ألم يقل عنهم: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾(البقرة:٩٠) وقال في آية أخرى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾(النساء:١٥١)؟ وهكذا تجد أن كفرهم مركَّز، الغضب عليهم، الشر عندهم كله مركز تركيزاً، أي: هو مضاعف، قمة الشر، قمة الخبث، قمة العداوة.

لهذا يقول عنهم: إنهم يودون أن يردوا الناس كفاراً، وهم يعرفون ماذا يعني كافر، كافر بالله، أليس معناه عداوة ظاهرة لله سبحانه وتعالى؟ وإلاّ فالمفروض أن يفرحوا أن هؤلاء العرب تحولوا من عبادة أصنام إلى عبادة الله، فأصبحوا يوحدون الله، وهم يدَّعون لأنفسهم بأنهم موحدون لله، أليس المفروض أن يفرحوا؟ لكن لا، ليكونوا كفاراً بالله، وكفاراً بدين الله! ما معنى هذا؟ عداوة لله سبحانه وتعالى هو، معنى هذا أنهم يودون أن يكون الناس كافرين بالله، ولا يكونون موحدين بالله ما دام القضية ليست على هواهم وعلى ما يريدون هم.

إلى هنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من
المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي
بتاريخ: ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ
الـمـوافــق: ١٠/ ٢/ ٢٠٢١م

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من هدي القرآن الكريم

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

قاطعوا
البضائع الأمريكية
و
الإسرائيلية

دروس من سورة آل عمران	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢م
دروس من سورة المائدة	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦م
دروس معرفة الله				
الثقة بالله ـ الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨م	نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩م	نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠م	نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١م	نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢م
عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣م	عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥م	عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦م	وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨م	وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩م
وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠م	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤م	وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥م	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦م	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨م
دروس متفرقة				
الصرخة في وجه المستكبرين ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م	{اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً} ٢٠٠٢/١/٢٤م	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢م
خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣م	لتحذن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧م	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨م	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩م	{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى} ٢٠٠٢/٢/١٠م
{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ} ٢٠٠٢/٢/١١م	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٣/٨م	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٣/٩م	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٣/١٦م	دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٣/٢٣م
{وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ} ٢٠٠٢/٧/٢٦م	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤م	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩م	{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ٢٠٠٢/٩/٢م	الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢م
لا عذر للجميع أمام الله ١٤٢٢/١٢/٢١هـ	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١م	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ
آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام ١٩ رمضان١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	{وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي} ١٤٢٣هـ
الموالاة والمعاداة ١٤٢٣هـ	{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}	الوحدة الإيمانية	{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى}	{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ}
من نحن ومن هم	دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٥/٢٨ /٢٠٠٣م إلى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٣م			
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة: الآيات (٢١ـ ٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠ ـ ٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧ـ١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤ـ١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١١٥ـ١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة البقرة: الآيات (١٤٦ـ١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١٨٥ـ٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢١٥ـ٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢٥٢ـ٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	الآيات(٢٧٥من البقرة ـ٣٢ من آل عمران) ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة آل عمران: الآيات (٣٣ـ٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢ـ١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١ـ آخر السورة) ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١ ـ ٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣ـ١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (١٣٥ ـ آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١ ـ ٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧ ـ ٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥ ـ آخر السورة) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١ ـ ٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (٣٩ ـ ١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣ ـ آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١ ـ ١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨ـ١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٣ ـ آخر السورة) ٢٩ رمضان١٤٢٤هـ